سلسلة الخطب الدعوية (١٦-٢٥)

الأخلاق الحسنة

مجموعة خطب ألقيتها من على منبر الجمعة وهي مناسبة أن تُلقى
كمحاضرات أو كلمات في المساجد والمدارس والإذاعات وغيرها.

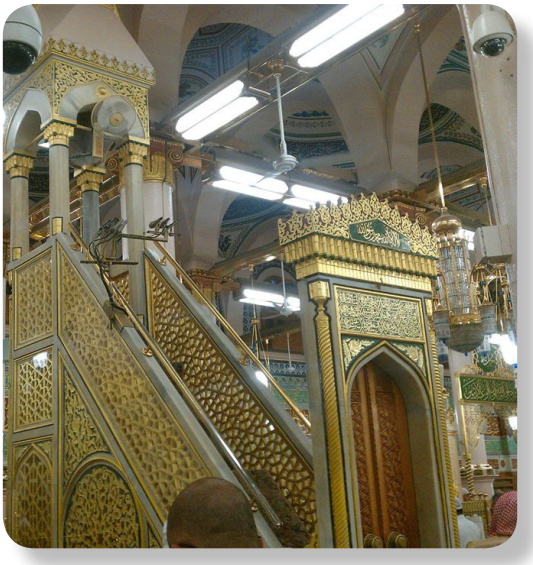

أعدها وألقاها

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

رجب ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية والتي ألقيتها خلال قيامي بالخطابة في عدد من جوامع المملكة العربية السعودية وأغلب هذه الخطب كانت في جامع البساتين بمحافظة القويعية في الفترة من عام ١٤١٤-١٤٢٤هـ.

ولا أزعم أن هذه الخطب المدونة كانت من اجتهادي الخاص ولكنني استفدت من عدد من الكتب ودواوين الخطب المطبوعة ويبقى أن لكل خطيب بصمته الخاصة في الإعداد وطريقته المتميزة في الإلقاء عن غيره.

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].

وكان الباعث لنشر هذه الخطب هو الحاجة الماسة لدى الكثير من الخطباء في هذا العصر وطلبهم للخطب والبحث عما كُتب من قبل ومساهمة في نشر الخير وإعانة للخطباء والوعاظ والمتكلمين وغيرهم ممن ينشر الخير والفائدة في المساجد والمدارس والإذاعات كان إخراجها ونشرها.

وهي صالحة بإذن الله للخطابة فيها وإلقاءها عن طريق الكلمات في المساجدأو المدارس أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله أن يبارك في هذه الخطب وأن يجعلها حجة لنا لا علينا وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والله وحده الموفق لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن إبراهيم الحريقي

في الخامس من رمضان لعام ١٤٤١ هـ أيام وباء كورونا (كوفيد ١٩)

في البلد الحرام مكة المكرمة - حرسها الله -

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠

❊❊❊

سلسلة الخطب الدعوية :

م	العنوان	م	العنوان
١	الإيمان والتوحيد.	١٤	التربية.
٢	الله جل جلاله وكتابه الكريم.	١٥	الآداب.
٣	محمد صلى الله عليه وسلم وسنته.	١٦	الأخلاق الحسنة.
٤	الصلاة والزكاة.	١٧	الأخلاق السيئة.
٥	الصيام.	١٨	المحرمات.
٦	الحج والعمرة.	١٩	الأمن.
٧	العيدين والاستسقاء.	٢٠	العالم الإسلامي.
٨	أشراط الساعة.	٢١	الطوائف والفرق.
٩	الموت والدار الآخرة.	٢٢	الشباب.
١٠	الفتن والبلاء.	٢٣	المرأة.
١١	السير والمعارك.	٢٤	الزواج.
١٢	الحقوق.	٢٥	الدراسة والإجازة.
١٣	القصص.		

❋❋❋

مكارم الأخلاق

الحمد لله العليم الخلاق الذي بعث عبده ورسوله محمداً ليتمم مكارم الأخلاق أحمده سبحانه هو الواحد الغني الرزاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي أخبر «أن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوى بها في النار سبعين خريفا» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الحنفاء أولي الكرم والوفاء وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

كما أن العلل في الأجساد تذهب معها الصحة وتنحل القوى فكذلك العلل في الأخلاق تفسد الدين وتقطع المرء من الخير في الدنيا والأخرى ومكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين بها تنال الدرجات وترفع المقامات.

وقد خص الله جَلَّ وَعَلَا نبيه محمداً بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب فقال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[2] وحسن الخلق يوجب المحبة والتآلف وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان الثمر محموداً كانت الثمرة محمودة. الأثر واضح في الدنيا والآخرة لمن حسن خلقه وجمع الله بين التقوى وحسن الخلق قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُئِلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

أَكْثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ الجنَّةَ ؟ فقالَ : تَقوى اللَّهِ وحُسنُ الخلُقِ ، وسُئِلَ عن أَكْثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ ، قالَ : الفَمُ والفَرجُ»[1].

وحسن الخلق هي طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى عن الناس هذا مع ما يلازم المسلم من كلام حسن ومداراة للعنف وكتمانه واحتمال الأذى وهذا هو حسن الخلق الذي يؤدي إلى السلامة ويأمن صاحبه الندامة، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ»[2]. وأوصى أبا هريرة بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا هريرةَ عليك بحُسْنِ الخُلُقِ قال: وما حُسْنُ الخُلُقِ؟ قال: تَصِلُ من قطعَك وتعفو عمن ظلمَك وتُعطي من حرمَك»[3].

وانظر إلى الأثر العظيم والثواب الجزيل لهذه المنقبة المحمودة فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ»[4]. رواه أحمد وعد حسن الخلق من كمال الإيمان فقال: «أكمَلُ المُؤمِنِينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا»[5].

وتأمل رعاك الله قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفعُهُمْ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ سُرورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تَكشِفُ عنهُ كُربةً، أو تَقضِيَ عنهُ دَيْنًا، أو تَطرُدَ عنهُ جُوعًا ، ولأَنْ أمْشِيَ مع أخِي المسلمِ في حاجةٍ أحَبُّ إليَّ من أنْ أعتكِفَ في المسجدِ شهْرًا، ومَنْ كفَّ غضَبَهُ، سَتَرَ اللهُ عوْرَتَهُ، ومَنْ كظَمَ غيْظًا، ولوْ شاءَ أنْ يُمضِيَهُ أمْضاهُ ، مَلأَ اللهُ قلْبَهُ رضِيَ يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥).
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٨) رجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة.
(٣) تخريج الإحياء (٢/ ١٩٧) من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه.
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) واللفظ له، وأحمد (٢٥٠١٣).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٥٢٧).

مع أخيهِ المسلم في حاجَتِه حتى يُثْبِتَها لهُ ، أثْبتَ اللهُ تعالَى قدَمِه يومَ تَزِلُّ الأقْدامُ ، وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العملَ ، كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ»[1].

وإن الكلمة الهينة اللينة التي يقولها المسلم له به أجر وتكون له صدقة فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

لا خيـل عنـدك تهديهـا ولا مـالُ فليسعد النطق إن لم يسعد الحالُ

وكل ذلك لما للكلمة الطيبة من أثر محمود وفعل مشهود فهي تقرب القلوب وتحبب النفوس وتزيل الكلفة والتنافر والتوجيهات النبوية في الحث على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرة معروفة منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهَ حيثما كنتُ، واتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تمْحُها ، وخالقِ النَّاسَ بخُلقٍ حسنٍ»[3].

وخلق المسلم ملازم له في كل زمان ومكان، يحببه إلى المسلمين ويقربه منهم في كل طريق يطرقه وفي كل مكان ينزل به له سهم من المحبة والمودة في عمله وفي طريقه بل في بيته حتى اللقمة التي يرفعها إلى فم زوجته يؤجر عليها ففيها تطيب النفس وإدخال الفرح وإزالة الكدر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنَّكَ مَهْما أنْفَقْتَ مِن نَفَقَةٍ، فإنَّها صَدَقَةٌ، حتَّى اللُّقْمَةُ الَّتي تَرْفَعُها إلى فَمِ امْرَأَتِكَ»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في (التوبيخ والتنبيه) (٩٧) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٤٠٣) باختلاف يسير، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٤/ ٣٧٨) واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري (٢٧٤٢).

والمؤمنون أخوة ويجب على المسلم أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وانظر إلى ما تحب لنفسك فقدمه لأخيك المسلم وما تكرهه فأخره وأبعده عنه.

وإياك وتحقير من آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولاً، فقد حذر من ذلك رسول الله فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ»(١).

وأجر المؤمن على حسن خلقه يتساوى مع أجر المؤمن الذي يقوم الليل كله ويصوم النهار فالمؤمن كما يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ»(٢).

وعلى هذا الاعتبار كان الصحابي الجليل أبو الدرداء يقول: «إن العبد السلم يحسّن خلقه حتى يدخله حسن خلقه الجنة ويسيء خلقه حتى يدخله سوء خلقه النار».

أيها الطالب فخراً بالنسب ... إنما الناس لأمٍ ولأب
هل تراهم خلقوا من فضةٍ ... أو حديد أو نحاس أو ذهب
أو ترى فضلهم في خلقِهم ... هل سوى لحم وعظم وعصب

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤) مختصراً، ومسلم (٢٥٦٤) واللفظ له.
(٢) صحيح أبي داود (٤٧٩٨).

إنـمـا الـفـضـلُ بـعـقـل راجـحٍ وبـأخـلاق كـرام وأدب
ذاك مـن فـاخـر في الـنـاس بـه فـاق مـن فـاخـر مـنـهـم وغـلـب

رزقنا الله جميعاً محاسن الأخلاق وجنبنا مساؤها.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمـد لله حمداً كثيراً طيبـاً مباركـاً فيه كما يحب ويرضى وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـاً كثيراً ... أما بعد:

قد جمعت علامات حسن الخلق في صفات عدة منها: أن يكون الإنسان كثير الحيـاء قليـل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسـان قليل الكلام كثيـر العمل قليل الزلل قليل الفضول براً وصولاً وقوراً صبوراً شـكوراً راضيـاً حليماَ رفيقـاً عفيفـاً شـفيقـاً لا لعانـاً ولا سبابـاً ولا نمامـاً ولا مغتابـاً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسـوداً بشاشـاً هشاشـاً يحب في الله ويرضى في الله ويغضب في الله، والرجل ذو الخلـق الحسـن يحتمل أذى الناس ويلتمـس دومـاً لهم العـذر فيما يرتكبونه من أخطاء ويحرص كل الحرص على تجنب تتبع أخطائهم والبحث عن عيوبهم للتشـهير والإضرار بهم ومن المتعارف عليه أن من شكا سوء خلق غيره فإن ذلك دليل قاطع على سوء خلقه.

وحين سئل الشعبي عن حسن الخلق قال: البذالة والعطية والبشر الحسن.

وقـد ذكـر علقمة العطاردي أثر حسـن الخلـق في وصيته لابنـه حين حضرته الوفـاة فقال: يا بني إذا عرضت لك صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانـك وإذا صحبته زانـك وإن قعدت بك مؤنة أعانـك واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها وأصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك وأصحب من إذا قلت

صـدق قولك وإن حاولت أمـراً أمرك وإن تنازعتما آثرك فكأنـه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة التي قلت وندرت في هذا الزمان إلا من رحم الله.

نسأل الله للجميع الهداية والصلاح وحسن الخلق إنه سميع مجيب.

❊❊❊

الإصلاح بين الناس

الحمد لله الذي أمر بالإصلاح، ووعد المصلحين أجراً عظيماً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلوات الله عليه، وعلى آله وأصحابه الذين بشروا بأن لهم من الله فضلاً كبيراً، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[2].

كثيراً ما يكون بين الناس منازعات وخصومات وذلك نتيجة لاختلاف الأهواء والرغبات والاتجاهات، ومن ثم فإن المنازعات والخصومات تسبب البغضاء والعداوات وتفرق بين المسلمين والقرابات، ومطلوب منا أن نسعى إلى الإصلاح بكل الوسائل والإمكانات، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[3].

ولقد أرسل الله تعالى نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين ليجمع على الإيمان قلوب المؤمنين، ويزيل من قلوبهم كل أسباب الشحناء، ويظهر نفوسهم من كل أسباب البغضاء، ليكونوا إخواناً.

(١) سورة البقرة: آية ٢٦٩.
(٢) سورة الأنفال: آية ١.
(٣) الحجرات: ١٠.

في الحديث عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ ، وفسادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ»(١) ومعنى الحالقة: أي تحلق الدين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ يَعْدِلُ بيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ»(٢).

وفي رواية لمسلم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، قالَ: تَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِه فَتَحْمِلُهُ عليها، أوْ تَرْفَعُ له عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، قالَ: والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(٣).

إن الإصلاح بين الناس تفضل فيه النجوى، وهي السر دون الجهر والعلانية، ذلك أنه كلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه، لأن الإنسان يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، فالسعي في الإصلاح يحتاج إلى حكمة وإلا فإن الساعي أحيانًا قد يزيد من شقة الخلاف وحدته، قال تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(٤).

ولأهمية الإصلاح بين الناس رخص فيه الكذب،وذلك إذا كان سبيلاً للاصطلاح ولا سبيل سواه، فعن أم كلثوم بنت عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رسول

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) باختلاف يسير، وأحمد (٤/ ٤٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩) واللفظ له.
(٤) سورة النساء: آية ١١٤.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ليسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أوْ يقولُ خَيْرًا»[1].

وقوله: «فَيَنْمِي خَيْرًا» أي ينقل الحديث على وجه الإصلاح، وفي صحيح مسلم: قال ابن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم اسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

والكذب في الاصلاح بين الناس: فمثل أن يحاول المصلح تبرير أعمال كل من المتخاصمين وأقوالهما بما يحقق التقارب ويزيل أسباب الشقاق والخلاف، وأحياناً ينفي بعض أقوالهما السيئة فيما بينهما وينسب إلى كل منهما من الأقوال الحسنى في حق صحبة مما لم يقله مثل أن يقول: فلان يسلم عليك ويحبك، وما يقول فيك إلا خيراً ونحو ذلك.

وأما الكذب بين الزوجين:

فقد قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يسقط حقا عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، وذلك أن الكذب بينهما قد يحتاج إليه أحياناً بحيث يخفي كل واحد منهما عن الآخر ما من شأنه أن يوغر الصدور أو يولد النفور أو يثير النزاع والفتن ويزرع الشقاق والإحن، فمثلاً لكل واحد منهما أن يخاطب الآخر بمعسول القول ما يزيد الحب ويسر النفس ويجمل الحياة بينهما، وإن كان ما يقال كذباً.

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٢).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذب الرجل زوجته مثل أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه ليستديم بذلك صحبتها ويصلح بها خلقها.

أسأل الله أن يجعلنا من الصالحين المصلحين وأن يوفقنا لحسن العمل وصالح الأخلاق.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بين سبل الفلاح ورتب الرحمة على التقوى والإصلاح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه وبحمده بالغدو والرواح والمساء والصباح، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جعله الله أسوة في الصلاح والإصلاح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه الذي سعدوا بالفلاح والنجاح وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .... أما بعد:

فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[1].

إن أطيب حياة يعيشها المؤمن والمؤمنة في هذه الدنيا هي حينما يكون مراقباً لله حسن الطوية لعباد الله. فأصلح أيها المسلم ما بينك وبين الله يصلح لله ما بينك وبين الناس. وأحذر أسباب الشحناء والبغضاء، وإذا جاء إليك أخوك معتذراً فاقبل معذرته ببشر وطلاقه، بل ينبغي أن تسعى أنت إلى إنهاء الشحناء، وإن كان لك الحق.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعقل الناس أعذرهم لهم».

وقال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إلي في أذني الأخرى لقبلت عذره، وروي أن الحسين بن علي كان بينه وبين أخيه محمد بن الحنفية خصومة – عليهم رضوان الله – وبعد أيام كتب محمد إلى الحسن رسالة ضمنها اعتذاره منه، فما أن وصل الكتاب إلى الحسن حتى قام لساعته وذهب إلى أخيه محمد، فالتقى به في منتصف الطريق، فتعانقا وبكيا وتصالحا.

(١) سورة الأنفال: آية ١.

وإذا علمت أنه بين اثنين من اخوانك أو قرابتك أو أرحامك أو أصحابك أو جيرانك شحناء أو قطيعة فعليك أن تبذل وسعك وغاية جهدك في الإصلاح بينهما، وإياك أن تتكاسل عن هذا العمل الجليل من أجل الاستماع إلى إيحاءات الشيطان، وأقوال المخذلين الذين يقولون: أنت في عافية فلا تكلف نفسك فيما لا شأن له به، بل عليك -وأنت تقدر على ذلك أن تسعى لإزالة أسباب الشحناء بين أخويك، فالصلح خير وذلك رحمة بهما وشفقة عليهما وطمعاً في فضل الله ورحمته التي وعدها من أصلح بين الناس، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فلقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسعى بنفسه للصلح بين المتشاحنين مؤكداً بذلك أهمية الإصلاح بين الأخوة المؤمنين، فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ أُنَاسًا مِن بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ كانَ بيْنَهُمْ شيءٌ، فَخَرَجَ إلَيْهِمُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُنَاسٍ مِن أصْحَابِهِ يُصْلِحُ بيْنَهُمْ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، ولَمْ يَأْتِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ بلَالٌ، فأذَّنَ بلَالٌ بالصَّلَاةِ، ولَمْ يَأْتِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ إلى أبي بَكْرٍ، فَقالَ: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبِسَ وقدْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَهلْ لكَ أنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَقالَ: نَعَمْ، إنْ شِئْتَ، فأقَامَ الصَّلَاةَ فَتَقَدَّمَ أبو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَمْشِي في الصُّفُوفِ حتَّى قَامَ في الصَّفِّ الأوَّلِ، فأخَذَ النَّاسُ بالتَّصْفِيحِ حتَّى أكْثَرُوا، وكانَ أبو بَكْرٍ لا يَكَادُ يَلْتَفِتُ في الصَّلَاةِ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هو بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراءَهُ، فأشَارَ إلَيْهِ بيَدِهِ فأمَرَهُ أنْ يُصَلِّيَ كما هُوَ، فَرَفَعَ أبو بَكْرٍ يَدَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأثْنَى عليه، ثُمَّ رَجَعَ القَهْقَرَى وراءَهُ حتَّى دَخَلَ في الصَّفِّ، وتَقَدَّمَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بالنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: يا أيُّها

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٠).

النَّاسُ إِذَا نَابَكُمْ شيءٌ في صَلَاتِكُمْ أَخَذْتُمْ بالتَّصْفِيحِ، إِنَّما التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ، مَن نَابَهُ شيءٌ في صَلَاتِهِ، فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فإِنَّه لا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا التَفَتَ، يا أَبَا بَكْرٍ، ما مَنَعَكَ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ لَمْ تُصَلِّ بالنَّاسِ، فَقالَ: ما كانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بيْنَ يَدَيِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

بل إن الله تعالى ليصلح بين عباده يوم القيامة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[2] قال ولنذكر ها هنا حديثاً أورده أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ إذ رأيناه ضحِك حتَّى بدت ثناياه فقال له عمرُ ما أضحكك يا رسولَ الله بأبي أنت وأمِّي قال رجلان من أمَّتي جثَيا بين يدَيْ ربِّ العزَّةِ فقال أحدُهما خُذْ لي مظلمتي من أخي فقال اللهُ كيف تصنعُ بأخيك ولم يبَقْ من حسناتِه شيءٌ قال يا ربِّ فليحمِلْ من أوزاري وفاضت عينا رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبكاء ثمَّ قال إنَّ ذلك ليومٌ عظيمٌ يحتاجُ النَّاسُ أن يُحمَلَ من أوزارِهم فقال اللهُ للطَّالب ارفَعْ بصرَك فانظُرْ فرفع فقال يا ربِّ أرَى مدائنَ من ذهبٍ وقصورًا من ذهبٍ مُكلَّلةً باللُّؤلؤ لأيِّ نبيٍّ هذا أو لأيِّ صديقٍ هذا أو لأيِّ شهيدٍ هذا قال لمن أعطَى الثَّمنَ قال يا ربِّ ومن يملِكُ ذلك قال أنت تملِكُه قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا ربِّ إنِّي عفوتُ عنه قال اللهُ فخُذْ بيدِ أخيك وأدخِلْه الجنَّةَ فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك اتَّقوا اللهَ وأصلِحوا ذاتَ بينِكم فإنَّ اللهَ يُصلِحُ بين المسلمين»[3].

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) سورة الأنفال: آية ١.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في (حسن الظن بالله) (١١٨)، وأبو يعلى كما في (إتحاف الخيرة المهرة) للبوصيري (٨/ ٢٠٣)، والحاكم (٨٧١٨) باختلاف يسير.

الإيثار

الحمد لله اللطيف الرؤوف الحنان الحليم الكريم الرحيم الرحمن أحمده على الصفات العلي الحسان وأشكره على نعمه السابغة وبالشكر يزيد العطاء والإحسان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالقرآن القائل «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم ما توالت الأزمان وسلم تسليماً مزيداً..... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

وكم نحن بحاجة إلى أن نتخلق بأخلاق القرآن وأن نتحلى بخلق سيد الأنام وإليكم بياناً لبعض جوانب ذلك الخلق الرائع النابع من القلوب المؤمنة الطاهرة ولكن مع الأسف قل من يتخلق به إلا من رحم الله ذلك هو الإيثار.

والإيثار من أفضل أخلاق الرجال وأشرفها وأعلاها. وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته وهو خلق الفضل في الإسلام ولا يُدرك هذا الخلق إلا إذا رزق العبد قريحة وقادة وطبيعة منقادة إذا زجرها إنزجرت وإذا قادها انقادت بسهولة وسرعة ولين. وارتوى مع ذلك بعلم نافع وإيمان راسخ وصبر جميل ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[2].

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة الحشر: آية ٩.

والإيثـار: أن يقـدم غيـره على نفسـه في النفع لـه والدفع عنه وهـو النهاية في الأخوة.

وقـال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة.

وحقيقـة الإيثار أنـه خلق يبعث على تعظيم الحقوق التي جعلها الله سـبحانه للمسـلمين بعضهم على بعض فالمسلم يرعاها حق رعايتها ويخاف من تضييعها فهو لخوفه من تضييع الحقوق والدخول في الظلم يختار الإيثار.

والإيثـار ضد الشـح فالبخيل من أجاب داعي الشـح والمؤثـر من أجاب داعي الجـود وقـد اختص الله تعالى به الإنسـان المسـلم لتعلـو همته وتسـمو إليه روحه فيسعى في طلبه وإن عظمت فيه المحنة واسمع إلى من قال مفتخراً بالإيثار:

أبيت خميص البطن عريان طاويـًا ... وأثـر بـالـزاد الرفيق على نفسي
وامنحه فرشي وأفتـرش الثرى ... واجعل ستر الليل من دونه لبسي
حـذار أحـاديـث المحافل في غدٍ ... إذا ضمني يومـًا إلى صدره رمسي

وقـد بلـغ التقدير في الإسـلام لخلق الإيثـار وتعظيمـه أن الله جَلَّ وَعَلَا ضحك مـن فعل الأنصاري الذي أكرم ضيف رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبات هو وزوجته طاويين واستمع إلى القصة كما في صحيح البخاري فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَى رَجُلٌ رَسـولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فأَرْسَلَ إلى نِسَـائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شـيئًا، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هذه اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقالَ: أَنَا يا رَسولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إلى أَهْلِهِ، فَقالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسـولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَدَّخِرِيهِ شـيئًا، قالَتْ: واللَّهِ

ما عِندِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَة، قالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَـاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وتَعَالَيْ فأطْفِئِي السِّرَاجَ ونَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، ففَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ على رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقـالَ: لقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ - أوْ ضَحِكَ - مِـن فُلَانٍ وفُلَانَةَ فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]»[2].

لقد كره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيثار لمن لم يتق منه بالصبر على الفقر وخشـي أن يتعرض للمسـألة إذا فقد ما ينفقه ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يأتي أحدُكم إلى جميـع ما يملِكُ فيتصدَّقُ به ثمَّ يقعُدُ يتكفَّفُ النَّاسَ إنَّما الصَّدقةُ عن ظهرِ غنًى خُذْ عنَّا مالَك لا حاجةَ لنا به»[3].

أما الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيثار على النفس فل يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال تعالى ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾[4] فكان الإيثار منهم أفضل من الإمساك والإمساك من لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.

والإيثار على ضربين: أحدهما: محمود ومطلوب. والثاني: مذموم وغير مطلوب.

■ **أما الإيثار المحمود:**

فصاحـب هـذا النوع من الإيثـار أثنى عليـه ربه جَلَّ وَعَلَا فهو محمـود عند الله تعالى وعند خلقه ويجزل الله لصاحبه العطاء ويكرمه في الدارين وله صور عديدة منها إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره وهو أجل وأفضل أنواع الإيثار ومنه إيثار

(١) سورة الحشر: آية ٩.
(٢) صحيح البخاري (٤٨٨٩).
(٣) صحيح ابن حبان (٣٣٧٢) أخرجه في صحيحه.
(٤) سورة البقرة: آية ١٧٧.

إبراهيم الخليل وإقدامه على ذبح ولده ومن ذلك أيضاً اختيار يوسف السجن على الوقوع في الزنا ومن صور الإيثار:

* إيثار الهدى والدين على ما سواه.
* إيثار الآخرة على الدنيا.
* إيثار الأخ أخاه على نفسه في فضول الدنيا والأمثلة كثيرة.

■ **أما الإيثار المذموم:**

فهو كل إيثار يؤدي إلى إتلاف بقصد لا يجوز في الدين مثل أن تؤثر غيرك بمالك وتقعد مضطراً مستشرفاً للناس أو سائلاً وكذلك الإيثار بما يفسد عليك قلبك ووقتك وحالك مع الله تعالى فهذا إيثار غير محمود وله صور منها الإيثار بالقربات والطاعات لغيرك بل هي مجال للتنافس ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة ويقول وهيب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

ومن الصور الإيثار بالوقت المعروف في الطاعات وكذلك إيثار الدنيا على الآخرة بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى.

ولنعلم جميعاً أن للإيثار فضائل ينبغي ألا تغفل عنها منها الإيثار خلق الفضل في الإسلام، والإيثار خلق الأنبياء عليهم والسلام وقد حاز نبينا محمداً على أعلى هذه الدرجة فإنه قاوم العالم كله وتجرد للدعوة واحتمل عداء القريب والبعيد في الله تعالى بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصور على لإيثار مرضاة الله حتى ظهر

(١) سورة البقرة: آية ١٤٨.

دين الله تعالى على كل دين وقامت حجته على العالمين.

ومـن الفضائـل أن الإيثار يكسـب العبد رفقـة في الدنيا والآخـرة وكذلك أن الإيثار هو النهاية في الإخوة ..

رزقنا الله جميعـًا هذا الخلق الجميل وأكرمنا بهذا الخلق النبيل.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فلو كانت الأخلاق صفات لازمة تخلق في الإنسان ويطبع عليها فلا يمكنه تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها كسائر الصفات الجسدية ولما أمر الشرع بالتخلق بالأخلاق الحسنة والتخلي عن القبيحة فلو لم يكن ذلك ممكناً مقدراً للإنسان لما ورد به الشرع لأنه لا تكليف إلا بمقدور ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما العلمُ بالتَّعلُّمِ، و إنما الحِلمُ بالتَّحلُّمِ، و من يتحرَّ الخيرَ يُعطَهْ، و من يتَّقِ الشرَّ يُوَقَّه»[2].

وإليكم بعض الوسائل التي تعين على اكتساب الإيثار وترسيخه ومنها:

١) رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها.

٢) مقت الشح وبغضه.

٣) تعظيم الحقوق التي جعلها الله للمسلمين بعضهم على بعض.

٤) المواظبة على تكلف الإيثار مرة بعد مرة حتى تألفه النفس وتعتاده.

٥) الاطلاع على فضائل الإيثار وترديدها على القلب.

٦) المواظبة على الطاعات والعبادات.

---

(١) الشمس: ٩-١٠.

(٢) صحيح الجامع (٢٣٢٨) حسن.

٧) لزوم الصدق وتحريه وتجنب الكذب وتوقيه.

٨) استحضار المثل الأعلى للبشرية وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩) تقوية رابطة الأخوة في الله.

١٠) النفرة من أخلاق اللئام والتحول إلى الصحبة الصالحة.

❊❊❊

المزاح

الحمد لله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[1] أحمده وأشكره وأتوب إليه واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله فإن التقوى وصية الله للأولين والآخرين.

قال سبحانه ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾[2] فكل ما يتلفظ به الإنسان مدون عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد يظن بعض الناس أن ما يسجل عليه هو ما تكلم به جاداً أو ما فعله جاداً من خير أو شر ويظل جزء من أقواله وأفعاله غير داخلة في ذلك وهو ما يصدر على سبيل المزاح.

ولا شك أن المزاح تصرف من تصرفات الإنسان وعمل من أعماله أو قول من أقواله فلا بد أن يضبط بالضوابط الشرعية وإلا فهو مؤاخذ عليه ومن الضوابط الشرعية التي يجب أن يضبط بها المزاح:

* **أولاً:** أن لا يقول إلا صدقاً لأن الكذب محرم ولو كان في المزاح وليس هناك كذبة بيضاء كما يقوله بعض الناس.

* **ثانياً:** أن لا يؤذي قلباً لأنه عندئذ يورث العداوة والبغضاء.

(١) سورة غافر: آية ٣.

(٢) سورة ق: آية ١٨.

* **ثالثاً:** أن لا يفرط فيه لأن الإفراط يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب.

* **رابعاً:** أن لا يداوم الإنسان عليه لأنه سيسأل عن وقته فيم قضاه ؟.

وما كان غير مضبوط بهذه الضوابط الشرعية فهو مزاح مذموم له أضرار كثيرة.

قال أحد الحكماء: إن المزاح إزاحة عن الحقوق ومخرج إلى القطيعة والعقوق يصم المازح ويؤذي الممازح فوصمة لمازح أن يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجري عليه الغوغاء والسفهاء وأما أذية الممازح فلأنه معقوق بقول كريه وفعل سفيه إن أمسك عنه أحزن قلبه وإن قابل عليه جانب أدبه فحق على العاقل أن يتقيه وينزه نفسه عن وصمة ساديه.

وعجيب حال بعض الناس في مزاحهم لا يبالون بالكلمة ينطقون بها، ولو كانت أشد من وقع الجبل على الممازح ثم في النهاية إذا امتقع لون الممازح قال له المازح: إني أمزح عليك.

ولنعلم أن هناك صوراً عديدة للمزاح المذموم نقع فيها ونحن لا نشعر منها ما يفعله بعض الآباء والأمهات مع أبنائهم يخبرونهم عن أمر من الأمور لا حقيقة له أو يرسلونهم ليحضروا لهم شيئاً وفي النهاية يقولون كنا نمزح عليكم وهذه دروس عملية يتلقاها الأبناء من الآباء.

ومن المزاح الذي يتعاطاه بعض الناس الأخبار المفزعة حتى إذا فزع قال إني أمزح.

ومن المزاح المذموم رفع السلاح على أخيك المسلم سواء السكين أو البندقية ولقد أصيب مجموعة من الناس بأضرار تلك وكل ذلك من جراء المزاح.

ولقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إشارة المسلم لأخيه بالسلاح جاداً أو مازحًا فعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ علَى أَخِيهِ بالسِّلاحِ، فإنَّه لا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ، فَيَقَعُ في حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**»[1].

فسداً للذريعة نهينا عن المزاح الذي تكون عاقبته وخيمة ويقضي إلى ترويع المسلم ولو كان بالسلاح حديدة أو سكينًا أو عصا.

وقد يتخذ بعض الناس رجالاً مشهورين بالمزاح فيدخلونهم بيوتهم ويصطحبونهم في أوقات فراغهم مجتمعين بالناس أو وحدهم فيستغرقون في الضحك ويأتون بالكلمات المخلة بالكرامة والأدب والأخلاق وسيجدون غبن ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجريء عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

فالإفراط في المزاح واللهو واللعب إخلال بالمروءة وغفلة عن ذكر الله وهناك مبالغة من بعض الناس في المزاح ومنها طعن أحدهم جسد الآخر بيده في مواضع لا يحب من أحد أن يحركها ليحدث أصواتًا مزعجة وربما غيب متاع الآخر أو إحدى حاجياته مازحًا وكل ذلك محذور.

وفي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يأخُذَنَّ أحَدُكم مَتاعَ صاحِبِه لَعِبًا جادًّا، وإذا أخَذَ أحَدُكم عَصا أخيهِ فلْيَرُدْها عليه**»[2].

ومن المزاح المذموم ما يفعله بعض الناس إذا كان في رحلة فنام رفاقه تزيى

(١) صحيح البخاري (٧٠٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٠٣)، والترمذي (٢١٦٠)، وأحمد (١٧٩٤٢) واللفظ له.

بـزي آخـر أو وضع جلالاً أو أحدث صوتـًا يريد أن يخيفهم وربمـا فقد أحدهم عقله أو صرع أو حصل له فزع استمر معه نتيجة هذا المزاح المذموم.

وفي الحديث عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنَّهم كانوا يَسـيرون مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنامَ رَجُلٌ منهم، فانطَلَـقَ بعضُهم إلى حَبْلٍ معه فأخَذَه، ففَزِعَ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يَحِلُّ لمُسلِمٍ أنْ يُروِّعَ مُسلِمًا**»[1].

ألا فلنتق الله ولنقتصر في مزاحنا على ما كان حقـًا كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل وكذلك صحابته.

❊❊❊

(١) تخريج سنن أبي داود (٥٠٠٤) إسناده صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فإن بعض الناس افرطوا بالمزاح وصار همهم أن يحدث الواحد بالحديث فألفوا السخرية بالناس حتى تمكنوا منها، وما علموا لعل من يسخرون به خيراً منهم فقد قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[1].

والسخرية أنواع:

فأعظمها السخرية بالله ورسوله ﷺ كما يفعله الملاحده على مختلف أصنافهم في كلماتهم وأشعارهم تعالى الله عما يقولون.

ومن صور الاستهزاء بالنبي ﷺ ما حصل في غزوة تبوك عندما قال المنافقون: ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء إلا أرغب بطوناً وأكذب السنة وأجبن عند اللقاء فرفع ذلك لرسول الله عليه السلام فنزل قوله تعالى ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾[2].

ومن أنواع السخرية باليوم الآخر والغيب والجنة والنار كما ذكر ذلك ربنا جل وعلا فقال سبحانه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات: آية ١١.

(٢) سورة التوبة: آية ٦٥-٦٦.

(٣) سورة يس: آية ٧٨-٧٩.

ومن ذلك أيضاً السخرية بالمؤمنين فاستهزؤوا بنوح وموسى ومحمد عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فليس غريباً أن يتهم المسلم بالتطرف والرجعية والتخلف وقد قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1]. وإن عقوبة الساخرين عظيمة قال عَزَّوَجَلَّ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2] فهولاء بين خزي الدنيا وعذاب الآخرة هلاك ودمار في العاجلة وعذاب مقيم في الآجلة والعياذ بالله.

وأما الذي يسخر منه فعليه أن يتقي الله ويصبر فاصبروا إن العاقبة للمتقين.

❊❊❊

(١) سورة المطففين: ٢٩-٣٣.

(٢) سورة القلم: ٣٥-٣٦.

الحلم والأناة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ا وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

وتخلقوا بالأخلاق الفاضلة الحميدة وجاهدوا أنفسكم بالاتصاف بالصفات الجميلة فإنها سبيل إلى التقوى وطريق موصل إلى السعادة في الدنيا والأخرى.

تضطرب على الدوام أمور وتكثر في هذه الدار المنغصات والمكدرات ويصور لنا الشاعر لبيد العامري طرفًا من هذه المعاناة حين يقول:

بلينا وما تبلى النجومُ الطَّوالِعُ ... وتَبْقَى الجِبالُ بَعْدَنَا والمَصانِعُ
وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مضنّةٍ ... ففارقَني جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ
فَلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا ... وكُلُّ فَتى ً يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فاجِعُ
فَلا أنَا يأتيني طَريفٌ بِفَرْحَة ... وَلا أنا مِمّا أحدَثَ الدَّهرُ جازِعُ
ومَا النّاسُ إلاّ كالدّيارِ وأهْلها ... بِها يَوْمَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاقِعُ
ومَا المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِهِ ... يحورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

وَمَا البِرُّ إلاَّ مُضْمَراتٌ منَ التُّقَى ... وَما المَالُ إلاَّ مُعْمَراتٌ وَدائِعُ
وَمَا المالُ والأهْلُونَ إلاَّ وَديعَةٌ ... وَلابُدَّ يَوْمًا أنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ
وَيَمْضُون أرْسَالاً ونَخْلُفُ بَعدهم ... كما ضَمَّ أُخرَى التّالياتِ المُشايِعُ
وَمَا الناسُ إلاَّ عاملانِ: فَعامِلٌ ... يتبِّرُ ما يبني، وآخرُ رافِعُ
فَمِنْهُمْ سَعيدٌ آخِذٌ لنَصِيبِهِ ... وَمِنْهُمْ شَقيٌّ بالمَعيشَةِ قانِعُ
أَلَيْسَ ورائي، إنْ تراخَتْ مَنيّتي، ... لُزُومُ العَصَا تُحْنَى علَيها الأصابِعُ
أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ ... أدبُّ كأنّي كُلّما قمتُ راكِعُ
فأصبحتُ مثلَ السيفِ غيرَ جفنهُ ... تَقَادُمُ عَهْدِ القَينِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فَلا تبعدنْ إنَّ المَنيَةَ موعِدٌ ... عَلَيْكَ فَدَانٍ للطُّلُوعِ وطالِعُ
أعاذلَ ما يُدريكِ، إلاَّ تظنيًّا، ... إذا ارتحلَ الفتيانُ منْ هوَ راجِعُ
تُبَكِّي على إثرِ الشّبابِ الذي مَضَى ... ألا إنَّ أخدانَ الشّبابِ الرّعارِعُ
أتجزَعُ مِمّا أحدَثَ الدّهرُ بالفَتى ... وأيُّ كَريمٍ لَمْ تُصِبْهُ القَوَارِعُ
لَعَمْرُكَ ما تَدري الضَّوَارِبُ بالحصَى ... وَلا زاجِراتُ الطّيرِ ما اللّهُ صانِعُ
سَلُوهُنَّ إنْ كَذَّبتموني متى الفتى ... يذوقُ المنايا أوْ متى الغيثُ واقِعُ

وأبلغ من ذلك قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[1] وقوله جل ذكره ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[2] وأمام هذه الحقيقة الماثلة يحتاج المسلم إلى نوع من التعامل يجنبه مزالق الطريق ويجاوزه العقبات والى نوع من الأخلاق يخفف عنه الصدمات ويسري عنه حين الشدائد والأزمات.

(١) سورة البلد: آية ٤.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

ويرشد ديننا الحنيف إلى التزام الهدوء وعدم العجلة والطيش في التعرف في مثل هذه الحالات واستمع إلى ما يرشد إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشج عبد القيس عندما قال له: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللَّهُ: الحِلْمُ، والأناةُ»[1] وما أعز هاتين الخصلتين في الناس إلا من رحم الله، وما أشد حاجتنا إليهما جميعاً أما الحلم فهو العقل وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة.

ويكفي الحلم عزة ورفعة وعلو شأن انه من أسماء الله وصفاته كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[2] ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[3] بها الحلم حلية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[4] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[5] بل ويصف الله تعالى نبيه شعيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه حليم رشيد ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾[6] أما صفوة الخلق وخيرة المرسلين فيزكيه ربه بكمال الأخلاق ويقول ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[7].

ويوصي الله بالحلم والرفق ومجاهدة النفس عليهما، فيقول جل ذكره ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[8].

---

(١) صحيح مسلم (١٧).
(٢) سورة البقرة: آية ٢٣٥.
(٣) سورة النساء: آية ١٢.
(٤) سورة التوبة: آية ١١٤.
(٥) سورة هود: آية ٧٥.
(٦) سورة هود: آية ٨٧.
(٧) سورة القلم: آية ٤.
(٨) سورة فصلت: آية ٣٤-٣٥.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس قال تعالى ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[1].

ونتيجة جهل الإنسان فقد يتبدى له أحياناً أن أسلوب الشدة هو أقصر الطريق للوصول إلى هدفه وإن ممارسة العنف قد تعجل له حصول النتائج التي يرنوا إليها.

وليس الأمر كذلك فما يحصل بالحلم والرفق والأناة خير في الآخرة والأولى قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عائشةُ إنَّ اللَّهَ رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علَى ما سِواهُ»[2].

ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ»[3].

ويحذر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فقد الرفق بفقد الخير كله فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ»[4]. وقد قيل «الرفق في الأمور كالمسك في العطور».

وقد ورد أن رجلاً سب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فلما فرغ قال ابن عباس يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.

وقال انس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ

(١) سورة الشورى: آية ٤٣.
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ له.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).
(٤) صحيح مسلم (٢٥٩٢).

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾[1] هـو الرجل يشـتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبـًا فغفر الله لك وإن كنت صادقـًا فغفر الله لي».

وما أجمل قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبًا

يزيد سفاهة فأزيد حلمًا ... كعود زاده الإحراق طيبًا

وإذا كانت الحاجة تدعوا إلى الحلم والأناة في كل حال في هذه الحياة الدنيا فهي في زمن الشدائد والفتن أحرى وأولى ففيها تطيش العقول وتضطرب الأقوال وتختل المواقف ولا يسعف المرء في هذه الحالة إلا التثبت والحلم والأناة وذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة وتغليب حظوظ الآخرة على الدنيا.

وعلى المسلم أن يجعل الحلم والأناة منهجـًا له في كل حال ومقال.

اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى وخذ بنواصينا للبر والتقوى.

❊❊❊

(١) سورة فصلت: آية ٣٤.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

وتشتد الحاجة إلى الحلم والأناة كذلك حين تستثار المشاعر فتحتاج إلى التهدئة والتسكين وحين تشعر النفوس بالضيم فتتطلع إلى الانتصار وحين يشيع المنكر فترتفع أسهم الغيرة لدين الله ولكنها ينبغي أن تضبط بميزان الشريعة وأن تحكم بالعقل وأن تحلى بالحلم وأن تجمل بالرفق. ولا يعني ذلك تبلد الإحساس عن مصائب المسلمين ولا موت المشاعر عن واقعهم المهين، فمن يقتل ومن يهجر ومن يشرد ويطرد ومن ينفي ويسجن كل هؤلاء يجب علينا نحوهم مناصرتهم والدعاء لهم بما نستطيع وليس من الحلم والأناة إضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكاسل عن الدعوة إلى الله تعالى ولا القعود عن نصرة المظلومين ومحبة المؤمنين والبراءة من الكافرين وبغض المنافقين ولكن الحلم والأناة تريث وتعقل في الحركات وعدم عجلة في التصرفات.

وبالحلم والأناة والرفق ينبغي أن يربي الآباء والأمهات البنين والبنات وأن يكون جزءاً مهما من وظيفة المربين وأسلوباً عملياً للمعلمين ونهجاً متبعاً للمسؤولين. اللهم ارزقنا الحلم والأناة والرفق في الأمور كلها.

❋❋❋

الحياء وآثاره

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واخشوا يوماً ترجون فيه إلى الله.

وطالما اعتاد كثير من الناس على مقولة استح يا فلان وهي كلمة زجر تقال لمن خالف شرع الله تعالى أو وقع في شيء من محارمه استتر في شيء من الواجبات وقلل الأدب مع الناس بأي شكل من الأشكال وهي كلمة ذات معنى ولها مغزى وشيوع الكلمة وكثرة إطلاقها دليل الغيرة وعلامة الوعي وهي أسلوب من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصلح لفئة من الناس لم تجد معها الوسائل الأخرى وبلغ بها الاستهتار بالمعاصي إلى حد المجاهرة بها دون خوف من الله تعالى واستحياء من خلقه ورحم الله القائل:

فإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

ومع أهمية الحياء وحاجتنا إليه إلا أننا أحياناً نجهل معنى الحياء وربما فات على بعضنا الفرق بين الحياء الشرعي وغير الشرعي أو فات علينا معرفة قيمة الحياء وكلنا نحتاج إلى معرفة الأسباب المؤدية للحياء الشرعي والأسباب

المساعدة على فشو قلة الحياء هذه وغيرها مما يتعلق بالحياء أمور تمس الحاجة إليها في هذا العصر.

واستمع إلى طائفة من أقوال الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحياء: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الحَيَاءُ»(١) ولأهمية الحياء وقدره وحاجة الحياة والأحياء له بقي سمة هذا الدين وسمة الأديان السابقة ولم ينسخ من بين ما نسخ من شرائع الله ولهذا تلا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(٢).

ويكفي الحياء قدراً أنه من الإيمان وأنه طريق إلى الجنة وعكسه البذاء يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ»(٣).

وعرف العلماء الحياء لغة: أنه تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

وتعريفه شرعًا: فهو خلق يبعث على اجتناب القبيح ومانع من التقصير في حق ذي الحق ولهذا جاء في الحديث «الحَيَاءُ خَيرٌ كُلُّه»(٤).

وقال الراغب الأصفهاني الحياء انقباض النفس عن القبيح وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من

(١) صحيح ابن ماجه (٣٣٨٩) حسن.
(٢) صحيح البخاري (٦١٢٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)،وأحمد (١٠٥١٩)، وابن حبان (٦٠٨).
(٤) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٦)، وأحمد (١٩٩٥٧) واللفظ له.

جبن وعفة ولهذا لا يكون ألمستحي فاسقاً وقلما يكون الشجاع مستحياً.

والحياء علامة خير وهو شعبة من شعب الإيمان كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»[1] والسؤال المهم لماذا كان الحياء من الإيمان؟ وسؤال آخر لماذا افرد من بين شعب الإيمان؟

أما لماذا كان الحياء من الإيمان، فقد قال ابن قتيبه رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمي إيماناً كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: جعل الحياء وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي. وإن لم تكن له تقية - رأي مانع - فصار كالإيمان الذي يقطع بين العاصي والمعصية. وإنما جعل الحياء بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله وانتهاء عما نهى الله عنه فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان.

أما إفراده من بين شعب الإيمان الأخرى فذلك لأن الحياء كالرأي إلى باقي الشَّعب إذ الحييَّ يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر.

وهكذا يتضح قدر الحياء وقيمته فهو رقابة داخلية تتحكم في سلوكيات الإنسان وتدفعه لفعل الجميل وتكفه عن فعل القبيح، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «استحيوا من اللهِ تعالى حقَّ الحياءِ ، من اسْتحيا من اللهِ حقَّ الحياءِ فلْيحفظِ الرأسَ وما وعى، ولْيحفظِ البطنَ وما حوى، ولْيذكرِ الموتَ والبلا، ومن أراد الآخرةَ ترك زينةَ الحياةِ الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللهِ حق الحياءِ»[2].

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (٣٦٧١) باختلاف يسير.

وإذا تمثل الإنسان الحياء قاده إلى كل خير وحجبه عن كل سوء ولكن ذلك يحتاج إلى جد واجتهاد وترويض للنفس واحتساب للأجر عند الله تعالى. وهذا هو الحياء الشرعي المطلوب فالحياء الشرعي: هو المقترن بالعلم والنية الطيبة وهو الباعث على فعل المأمور وترك المحظور وهو الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر. وإذا كان هذا هو الحياء الشرعي فهناك حياء غير شرعي.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يقال رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير لأن ذلك ليس شرعيًا.

وقال أيضًا: وأما ما يقع سببا لترك أمر شرعي فهو مذموم وليس هو بحياء شرعي وإنما هو ضعف ومهانة.

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُوصيكَ أن تَستَحي مَنَ اللهِ تعالى، كما تَستَحي مِن الرَّجلِ الصَّالِحِ مِن قومِكَ»[1].

فهنيئًا لمن كان الحياء خلقًا له ولا خير في المرء إذا ذهب منه الحياء.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أربع من كن فيه كان كاملا ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه دين يرشده وعقل يسدده وحسب يصونه وحياء يقوده.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا في ديننا ويرزقنا الحياء ويعصمنا من البذاء والجفاء وسوء الأخلاق.

(١) صحيح الجامع (٢٥٤١) صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

وقديماً قال العارفون الرجال ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو ثوابها ورجل عمل سيئة ثم تاب منها فهو يرجوا المغفرة والثالث الرجل الكذاب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو رحمة الله، ومن عرف بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالباً فالأول والثاني يتمثل فيهم الحياء والثالث مغالط لنفسه وما فقه معنى الحياء. نسأل الله السلامة والعافية.

ونستطيع القول في معاني الحياء وآثاره هو ترجمة للخوف من الجليل وهو نوع من الأدب في التعامل مع الآخرين وهو طريق للخير والفلاح وجسر للسعادة والصلاح وهو دليل رجاحة العقل ومؤشر لميزان الإيمان وعنوان للثقة بقيم الإسلام وهو شعار المتقين ودثار المؤمنين وجلباب يستر الله به كثيراً من الفضائح والعيوب.

ومن مظاهر قلة الحياء بشكل عام المجاهرة بالمعاصي أياً كانت هذه المعصية فإن من يستحي من الله يستحي من خلقه لا يمكن أن يجاهر بالمعصية، والمجاهرة كما هي مظهر لقلة الحياء فهي سبب لعدم المعافاة «**كلّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المجاهرون قيل يا رسولَ الله ومَن المجاهرون قال الَّذي يعمَلُ العملَ باللَّيل فيستُرُه ربُّه عَزَّوَجَلَّ ثمَّ يُصْبِحُ فيقولُ يا فلانُ عمِلْتُ البارحةَ كذا وكذا فيكشِفُ سِتْرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عنه**»[1].

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٤٤٩٨)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان) (٢/ ٢٥) باختلاف يسير.

ومن المظاهر التطبع بالأخلاق الرديئة من السباب والفسوق وكثرة المزاح بما حل أو حرم والتلفظ بالكلمات البذيئة والكبر والكذب والخداع والغش ونحوها.

ومن المظاهر عدم احترام الآخرين وتقدير مشاعرهم فلا يراعي لكبير حقًا ولا يغرس في صغير خلقًا همه مصالحه الخاصة تستحكم فيه الأنانية وحب الذات إلى درجة تسفيه أحلام الآخرين واحتقارهم. ألف المحرمات واستثقل الواجبات فان من يألف التهاون بالواجبات كالصلاة وشرب المسكرات أو يستهين بحقوق الخلق ولا يهتم بواجباتهم عليه فهو شخص لم يستح من الله ولا من خلقه. نسأل الله السلامة والعافية.

❊❊❊

عبودية السراء (الشكر)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نعمه لا تقدر ولا تحصى، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. يرضى لعباده الشكر ويكره منهم الكفر، وهو الغني الحميد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله كان عبداً شكوراً، وقام حتى تفطرت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. اللهم صل الله وسلم وبارك عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وبذلك أوصاكم كما أوصى الذين من قبلكم ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2].

ونحن في هذه البلاد ولله الحمد والمنة ننعم بنعم كثيرة وخيرات وفيرة ولكن ثمة تنبيه مهم للغاية حول شكر الله تعالى على تلك النعم وعبادة الشكر هي عبادة يسيرة على من يسرها الله عليه ولكنها في الخلق قليل، تمثلها الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وانتفع بها السالكون لنهجهم، وأهلك الله بإنكارها أمماً وقصم جبارين ما رعوها حق رعايتها، إنها عبودية السراء، قرنها الله بذكره فقال ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟

(١) سورة فاطر: آية ١-٣.
(٢) سورة النساء: آية ١٣١.

لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[1].

وما أعظم الخطب حين يقول الله عن الشكر ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[2] وحين يقول ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾[3] ويتعاظم الأمر حين تسمع آثار الشكر وعاقبة كفر النعم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[4].

ولعظيم قدر الشكر قرنه الله بالإيمان، وجعله سببًا مانعًا من عذابه فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[5].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشكر نصف الإيمان. وقال الشعبي: الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، بل هو الغاية التي خلق عبيده لأجلها ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[6].

وإذا كان الشكر غاية الخلق، فهو غاية إرسال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[7]. كيف

(١) سورة البقرة: آية ١٥٢.
(٢) سورة سبأ: آية ١٣.
(٣) سورة السجدة: آية ٩.
(٤) سورة إبراهيم: آية ٧.
(٥) سورة النساء: آية ١٤٧.
(٦) سورة النحل: آية ٧٨.
(٧) سورة البقرة: آية ١٥١-١٥٢.

لا وقد أثنى الله على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[1].

وكم من آية في كتاب الله عن الشكر نمر عليها ونحن غافلون، فهل عقلنا إنما يعبد الله من شكره ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[2] وعل علمنا أن أول وصية وصى الله بها الإنسان بعد ما عقل عنه بالشكر له وللوالدين ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[3].

وتأمل معنى الشكر في اللغة، وهو: الظهور، من قولهم: دابة شكور إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف.

ومن معانيه عند العلماء الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية، وقيل: هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم وقيل: الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال.

ولابد للشكر من أركان ثلاثة، ولا يكون العبد شكوراً إلا بمجموعها أحدها اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني الثناء على الله بها، والثالث: الاستعانة بها على مرضاته.

والشكر يتعلق بثلاثة أشياء، بالقلب للمعرفة والمحبة، وباللسان للثناء والحمد، وبالجوارح لاستعماله في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه.

وهذا يصحح الفهم عند بعض الناس حين يظنون أن الشكر مجرد حديث

(١) سورة الإسراء: آية ٣.
(٢) سورة البقرة: آية ١٧٢.
(٣) سورة لقمان: آية ١٤.

اللسـان، فهذا مع أهميته فلابد من صدق القلب ومحبته لمن يشـكره وخوفه من عقابه والجوارح تصدق هذا أو تكذبه.

يروى أن وفداً قدم على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقام شاب ليتكلم، فقال عمر: كبر كبر، فقال: يا أمير المؤمنين لو كان للأمر بالسـن لكان في المسلمين من هو أسـن منك، فقال تكلم: فقال: لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة، أما الرغبة فقد أوصلهـا إلينا فضلك، وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك، وإنما نحن وفد الشـكر، جئنـا نشـكرك باللسـان وننصرف، قـال الغزالي: فهـذه هي أصول معاني الشـكر المحيطة بمجموع حقيقته.

إن مجرد الثناء باللسـان شـكر، وهـو وإن كان وحده لا يكفـي، والفرق كبير بينه وبين التشكي والتضجر وإظهار الحزن دائمـًا، فهذا ازدراء لنعم الله، ولذا من هدي السـلف أنهم كانوا يتسـاءلون كلمـا التقوا – ولو كان العهـد قريبـًا – وذلك لإظهار نعمة الشكر.

قـال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لعلنـا نلتقي في اليوم مرارا يسـأل بعضنا عن بعض، ولم يرد بذلك إلا ليحمد الله عَزَّوَجَلَّ».

وهـذه لطيفة حمال فأعقِلوها، رأى بكـر بن عبد الله المزني حمالاً عليه حمله وهو يقول: الحمد لله، استغفر الله، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له: أما تحسن غير هذا؟ قال (الحمال) بلى؛ أحسن خيراً كثيراً اقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب فأحمد الله على نعمة السـابقة واستغفره لذنوبي، فقلت: الجمال أفقه من بكر.

والشاكرون أطيب الناس قلباً، وأهنئهم عيشاً، وأوصلهم لما أمر الله به أن يوصل. الشاكرون يقنعون باليسير، ويستجلبون بالشكر المزيد، يعلم الشاكرون أنهم وإن حرموا شيئاً فقد أعطوا أشياء، وإن اشتكوا مرضاً في جانب من جسدهم فقد أصح لهم جوانب كثيرة أخرى.

والشاكرون لا يشكون المصائب وينسون النعم، بل ينسون مصائبهم في مقابل ما وهبهم الله من نعم.

ويدرك الشاكرون أن الشكر سبيل لرضا من يستحق الرضى والشكر، ثبت في صحيح مسلم عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(١).

وهو طريق للمزيد من النعم، كذا جاء الخبر مؤكداً في كتاب الله ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٢).

قال الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً.

ولهذا كانوا يسمون الشكر بـ(الحافظ) لأنه يحفظ النعم الموجودة، و(الجالب) لأنه يجلب النعم المفقودة.

والشكر وصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن أحب، ففي الحديث «أَنَّ رسولَ اللَّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذَ بيدِه، وقالَ: يا مُعاذُ، واللَّـهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ»(٣).

(١) صحيح مسلم (٢٧٣٤).
(٢) سورة إبراهيم: آية ٧.
(٣) صحيح أبي داود (١٥٢٢).

وما بالنا ونعم الله تترى علينا نضيق بتُالم يسير، ونغتاظ لمرض يسير ألم بنا، ونكره لفوات محبوب من ملاذ الدنيا فات علينا – ولئن حرمنا القليل فقد أعطانا الكثير، ولئن ألم بنا مرض يسير فقد متعنا الله بالصحة عمراً طويلاً.

أين الشكر على نحو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ ، فَكَأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا**»[1] .

أين الشكر على نعمة الجوارح وسلامتها؟ وأين الشكر على نعمة الأمن والرخاء، وأين الشكر على نعمة العقل والإرادة وأين الشكر على نعمة الأموال والأزواج والبنين. وقبل ذلك وأين الشكر على نعمة الإسلام والإيمان، إنها وغيرها نعم تستحق الشكر باللسان والقلب والجوارح. وإننا نحمد الله تعالى على غزير فضله وإنعامه ونسأله أن يرزقنا الشكر.

❊❊❊

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٤١).

التثبت في الأخبار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خائنة الأعين وما يخفي الضمير ويسمع دبيب النمل في حنادس الظلم إذا يسير أحمده سبحانه وهو بالحمد جدير وأشره على ما أولاه من الإنعام والإحسان والخير الكثير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً ... أما بعد:

فاتقوا الله عبد الله فإن تقواه وقاية من عذابه، واحذروا المعاصي فإنها موجبات لغضب الرب وأليم عقابه، وقدروا كتاب ربكم وما تضمنه من أمره ونهيه وعقابه.

يقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾[1] فإن الله أمر المؤمنين في كتابه العزيز أن لا يقبلوا أي قول يتصل بمسامعهم إلا بعد التثبت منه والتحري لكلا يقيموا في المحظور من إفساد الصلات وأحداث الجفوة بين المسلمين والمسلمات دونما ذنب اجترحوه أو جناية أقدموا عليها وذلك بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي تثبتوا منه ولا تصدقوه لأول وهلة فقد يكون المخبر به مغرضاً أو ليجر به إليه مغنماً أو ينال به القرب غير من نقل إليه السوء عن الآخرين ومن الناس من يفعل ذلك بقصد التزلف إلى كل من الفريقين ليوهم كلا منهما أنه من أنصاره وأوليائه وينقل لهم أخباراً تزيد في الجفاء والنفور وتغرس الضغائن والأحقاد في قلوبهم ليشعل نار الفتنة ويحدث الخلل في صفوف المسلمين ويفرق

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

كلمتهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

روي أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئًا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

وإن الله تعالى أوضح حكمه التثبت في سماع الأخبار بقوله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ أي لئلا تحملوا على أبرياء وأنتم تجهلون حالهم لتصديقكم خبر المخبر دون تثبت فتصبحوا على ذلك نادمين فلا ينفع الندم حينئذ وهذا توجيه من الله لعباده المؤمنين يجب ألا يتساهل به بل يجب على كل مسلم أن يعمل به وألا يسقطه من حسابه. أفكلما أمسك بأذنه واش يتطفل بنقل خبر كاذب للوشاية والتنفير أو للانتقام من مسلم أو لتشويه سمعته يقبل ذلك بدون تثبت فيصبحُ على فعل من النادمين.

وقديمًا تولى كبر الإفك رأس المنافقين في تلويث ساحة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فأنزل الله تعالى براءتها في قرآن يتلى أدبًا للمؤمنين ليتأدبوا به سلفًا وخلفًا فقال سبحانه ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[2] ثم أردف سبحانه هذا الأدب وهو تحسين الظن بالمؤمنين بأدب آخر فقال سبحانه ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾[3].

(١) سورة التوبة: آية ٣٢.
(٢) سورة النور: آية ١٢.
(٣) سورة النور: آية ١٦-١٧.

فما أحوجنا لنستقي هذه الآداب من ينبوعها الصافي في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكم من كلمة سيئة أدت بصاحبها إلى غضب الله تعالى وسخطه وعذابه وانتقامه.

لسانك لا تذكر به عورة إمرء ... فكلك عوراتُ وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك معائبًا ... فصنها وقل يا عينُ للناس أعينُ
وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أحدكم ليتكلّم بالكلمةِ من رِضْوانِ الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغتْ فيكتب اللهُ لهُ بها رِضْوانُهُ إلى يوم يلقاهُ، وإن أحدكُم ليتكلّمُ بالكلمةِ من سَخَط اللهِ ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغت فيكتبُ اللهُ عليهِ بها سَخَطهُ إلى يومِ يلقاه»[1].

ومن الوعيد لهذا الصنف المتبرع بنقل الأخبار الكاذبة للفساد والإفساد ما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أيُّما رجلٍ حالت شفاعتُه دونَ حَدٍّ من حدودِ اللهِ تعالى، لم يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ تعالى حتى يَنْزِعَ، وأيُّما رجلٍ شَدَّ غضبًا على مسلمٍ في خصومةٍ لا عِلْمَ له بها، فقد عاند اللهَ حَقَّهُ، وحَرَصَ، على سَخَطِه، وعليه لعنةُ اللهِ المتتابِعَةُ إلى يوم القيامةِ، وأيُّما رجلٍ أشاع على رجلٍ مسلم بكَلِمَةٍ وهو منها بريءٌ يُشِينُه بها في الدنيا؛ كان حَقًّا على اللهِ أن يُدْنِيَه يومَ القيامةِ في النارِ، حتى يَأْتِيَ بإنفاذِ ما قال»[2].

(١) سنن الترمذي (٢٣١٩) حسن صحيح.
(٢) الجامع الصغير (٢٩٥١) صحيح.

واحـذروا مـن المفتريـن الكذابين الذيـن يندسـون بين صفوف المسـلمين لإفسـاد أمرهـم بنقـل الأخبار الكاذبـة والتصدي لإشـاعتها وعليكـم بالتثبت في قبولها والحيطة في تصديقها أخذا بأدب القرآن واستجابة لأمر الملك الديان.

اللهم طهـر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسـنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأكفنا اللهم شـر الأشرار وكيد الفجار وحسد الناقلين للأخبار.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه وامتثلوا أمر ربكم ولا تعصوه واحذروا من نقل الأخبار الملفقة وإشاعتها بين المسلمين فقد يكون لها الأثر السيء في نفوسهم ورد الفعل في مجتمعهم وهي قد تكون من أخبار الشياطين التي لا أصل لها ولا فرع.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ الشَّيْطانَ لَيَتَمَثَّلُ في صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتي القَوْمَ، فيُحَدِّثُهُمْ بالحَديثِ مِنَ الكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فيَقولُ الرَّجُلُ منهمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أعْرِفُ وجْهَهُ، ولا أدْرِي ما اسْمُهُ يُحَدِّثُ»(١).

وروي كذلك عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنَّ في البَحْرِ شَياطِينَ مَسْجُونَةً، أوْثَقَها سُلَيْمانُ، يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ علَى النَّاسِ قُرْآنًا»(٢) وإن الذين يخوضون في الأحاديث الكاذبة وينقلون الأخبار بدون تثبت مطيتهم في ذلك زعموا وقالوا وبئس مطية الرجل زعموا كما صح بذلك الحديث عن حذيفة «لأن زعموا في الواقع ما هي إلا مطية الكذب» فكل صاحب غرض أو هوى لا يجد متنفساً لما في صدره من شرور إلا تلفيق الأكاذيب ورواية الأخبار المغرضة تحت ستار زعموا وقالوا متنصلاً من المسئولية العظمى في ذلك والله تعالى يقول ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٣).

---

(١) صحيح مسلم (٧) [أورده مسلم في مقدمة الصحيح].

(٢) صحيح مسلم (٧) [أورده مسلم في مقدمة الصحيح].

(٣) سورة ق: آية ١٨.

وقد صح عن رسول الله أنه قال: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بكلِّ ما سمعَ»[1] ذلك لأن كل ما يسمعه المرء يختلط فيه الصدق والكذب والجائز والمستحيل وهكذا.

ولكن علينا بالقاعدة العامة في قبول الأخبار وتصديقها من الحكيم الخبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[2].

❊❊❊

(١) أخرجه مسلم (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢) واللفظ له.

(٢) سورة الحجرات: آية ٦.

الجود في الإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله تعالى واشكروه على ما هداكم للإسلام وجعلكم من أمة خير الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والآداب والأخلاق عنوان صلاح الأمم والمجتمعات ومعيار فلاح الشعوب والأفراد، لها الكلمة العظمى بعقيدة الأمة ومبادئها بها إنه التجسيد العملي بقيم الأمة ومثُلها وعنوان تمسكها بالعقيدة والتزامها بالمنهج السليم والصراط المستقيم.

من شمولية هذا الدين وعظمته:

أنه دين الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة وجاء الأمر بها وبكل خلق فاضل نبيل في جميع أحوال المسلمين صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها أفراداً ومجتمعات وأسراً وجماعات ويكفي من ذلك قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالته في إصلاح أخلاق: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ»[1] في دينٌ يشيد آية في آية لبناته السوراتُ والأضواءُ الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله منزله هدى وضياء.

(١) أخرجه أحمد (٨٩٣٩)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٢٧٣) واللفظ لهما، والبزار (٨٩٤٩) باختلاف يسير.

وأعظم الأخلاق قدراً وأرفعها مكاناً خلق الجود والسخاء فإنه من أبرز أخلاق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان أجود الناس وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وصفه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: كان أجود الناس كفاً وأوسعهم صدراً وأصدقهم لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بهديه هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط إلا أعطاه، أتاه رجل فسأله فأمر له بشاه كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه وهو يقول يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

والجود خلق نبيل آثر صاحبه لذة الثناء على لذة المال فهو من أعلى منازل الكرم وله في القلوب منزلة رفيعة.

وفي منثور: الجود حارس للأعراض ومن جاد ساد وجود الرجل يحببه إلى أضداده، وخير الأموال ما استرق حراً.

وقيل للأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ ما الجود؟ فقال بذل القرى وكف الأذى.

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ وإياكم والفحشَ فإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفُحشَ ولا التَّفحُّشَ وإياكم والشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلَكم أمرَهم بالقطيعةِ فقطعوا وأمرَهم بالبخلِ فبخِلوا وأمرَهم بالفُجورِ ففجَروا**»[2].

ويخطئ كثير من الناس عندما يحصرون الجود في معنى ضيق فيجعلونه في

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٨٧)، وابن حبان (٥١٧٦)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٦٧٥٠).

الجـود بالمـال والبذل والعطاء وهذا فهم خاطئ فالجود في الإسـلام أسـمى من ذلـك وأعلى فدروب الخير كثيـرة وحوائج الناس متنوعة إطعام جائع أو كسـوة عار أو عيادة مريض وتعليم وانظار معسـر وإعانة عاجز فهذه وغيرها ضروب من الجود والكرم وأبواب من السخاء والعطاء.

تطـرد عـن أخيك همـاً وتزيل عنه غمـاً وتكفل يتيمـاً وتواسـي أرملة وتكرم عزيز قوم ذل. وتشـكر على الإحسـان وتغفر الإسـاءة وتسـعة في شـفاعة حسنة، وتفك بها أسيراً وتحقن بها دمـاً فكل ذلك من الجود والكرم وقلوب العباد جبلت على حب من أحسن إليها.

ومـا هـذه الأيـام إلا مـعـارةٌ ... فما استطعتَ من معروفها فتزودِ

فـإنـك لا تـدري بـأيـة بـلـدةٍ ... تموت ولا ما يحدثُ الله في غدِ

وقـد ذكر أهـل العلم أن الجود علـى مراتب متعددة فمنها الجـود بالراحة في مصلحة المسلمين ومنها الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود وأفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال.

ومن مراتب الجود:

الجود بالنفع بالجاه كالشـفاعة الحسـنة والمشـي مع الرجل إلى ذي سلطان وإبلاغه حاجته ولقد حث رسـولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قضاء حوائج الناس والسعي في مصالح المسلمين.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويَقْضِي اللَّهُ علَى لِسَانِ نَبِيِّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ما شَاءَ**»[1].

(١) صحيح البخاري (١٤٣٢).

وإن الله إذا أراد بعبـده خيراً جعل قضاء حوائـج الناس على يديه ومن كثرت نعـم الله تعالـى عليه تعلـق الناس به فإن قـام بما يجب عليه فقد شـكرها وحافظ عليها وإن قصر وملّ وتبرم عرضها للزوال وانصرفت وجوه الناس عنه.

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ للهِ تعالى أقوامًا يختصُّهم بالنِّعَم لمنافع العبادِ، ويُقرُّها فيهم ما بذلوها ، فإذا منعوها ، نزعها منهم ، فحولَّها إلى غيرِهم**»(١).

ألا فاتقـوا الله رحمكم الله وتعاونوا على الـبر والتقوى وتواصلوا بالمعروف ويبذل كل واحد منا ما يستطيعه لمن يحتاجه.

❊❊❊

(١) صحيح الجامع (٢١٦٤) حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى وسار على نهجهم إلى يوم اللقاء وسلم تسليماً مزيداً ... أما بعد.

فاعلموا رحمكم الله أن من أمارات الإيمان ودلائل الفضل أن يكون الإنسان جواداً بما لديه زاهداً بما في أيدي الناس ومن أجل طلاقة الوجه وابتسامة الثغر وجمال المنطق في مقابلة المسلمين.

وما الخصب للأضياف أن يكثر القِرى ولكنما وجه الكريم خصيبُ

فالجود بالخلق والبشر يُبلغُ الإنسان درجة الصائم القائم وهو أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١).

وإن المرء ليعجب من أناس وجوههم عابسة وصدورهم ضيقة وألفاظهم بذيئة لا يحتمل أحدهم مرور الذباب على أنه يقابل الناس سيء الخلق وكأنه يحملهم فوق رأسه ناسياً أنه لن يسع الناس بماله ولا بجاهه ولكن يسعهم بخلقه وحلمه وكرمه بهم.

قال جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما حَجَبَنِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلَّا ضَحِكَ**»(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).
(٢) صحيح البخاري (٣٨٢٢).

ومن مراتب الجود الجود بالعرض للمسلمين:

كجود أبي ضمضم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا أصبح قال: «الله إنه لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرض فمن شتمني أو قذفني فهو في حل».

وفي هذا النوع من الجود من سلامة الصدر وعلو الهمة وراحة القلب والتخلص من معادة الخلق وصدق المحبة للمسلمين مالا يخفى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من يجود بماله ونفسه وعلمه وجاه وعرضه وأن يستعملنا جميعا في طاعته وان يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

❊❊❊

عبادة الشكر بعد نزول المطر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فالتقوى هي الحبل المتين والرزق المبين وهي من صفات عباد الله المؤمنين.

هطلت الأمطار ونزلت البركات وحلت الخيرات نسأل الله أن يجعل ما رزقنا من الغيث قوة لنا على طاعته ومتاعاً إلى حين ومن نزول الأمطار التي سر بها كل مسلم هنا وهناك لنا وقفات مع الشكر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المنعم المتفضل بهذه النعمة العظيمة ولأهمية الشكر فقد ذكره ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في القرآن في خمسين موضعاً.

والشكر عرفان الإحسان ونشره وحقيقة الشكر الرضا باليسير وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها والشكر من العبد عرفان الإحسان ومن الله المجازاة والثناء الجميل.

يقول المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر شكران الأول: شكر باللسان وهو الثناء على النعم والآخر: شكر بجميع الجوارح.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

ومن أسماء الله تعالى الشكور، أي الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويُعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود.

والشكر أنواع ثلاثة:

* **شكر القلب:** وهو تصور النعمة.
* **وشكر اللسان:** وهو الثناء على المنعم.
* **وشكر سائر الجوارح:** وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه.

وفي قوله تعالى ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[1] أي اعملوا ما تعملونه شكراً لله.

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعا شكر نعمته وألا يجعل ما نحن فيه من النعم استدراجاً وهذه الخيرات تحتاج إلى الصبر، فالصبر في السراء والضراء يقول بعض السلف البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر.

ولا يصبر على العافية إلا الصديقون وقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد وإنما كان الصبر على فتنة السراء أعظم لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره.

وإليكم طائفة عطرة من أقوال الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول الشكر وفضله:

* منها حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ رسولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذَ بيدِه، وقالَ: يا مُعاذُ، واللَّه إنِّي لأحبُّكَ، واللَّه إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ،**

(١) سورة سبأ: آية ١٣.

وحُسنِ عبادتِكَ»[1].

* وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ للطاعمِ الشاكرِ من الأجرِ، مثلُ ما للصائمِ الصابرِ»[2].

* وفي الحديث «مُطِرَ النَّاسُ علَى عَهْدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شاكِرٌ ومِنْهُمْ كافِرٌ، قالوا: هذه رَحْمَةُ اللهِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: لقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذا وكَذا قالَ: فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[3]، حتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[4]»[5].

* يقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان في قَرَنٍ قلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد».

والشكر يكون بفعل جميع الطاعات والعبادات لله رب العالمين، قال أبو عبدالرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله شكر وأفضل الشكر الحمد.

وقال أبو حازم: لرجل سأله ما شكر العينين يا أبا حازم قال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته وان رأيت بها شراً سترته، قال في شكر الأذنين قال إن سمعت بهما خيراً وعيته وإن سمعت بهما شراً دفعته. قال في الشكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما قال فما شكر البطن قال، قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

(١) صحيح أبي داود (١٥٢٢).
(٢) صحيح الجامع (٢١٧٩).
(٣) سورة الواقعة: آية ٧٥.
(٤) سورة الواقعة: آية ٨٢.
(٥) صحيح مسلم (٧٣).

مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾[1].

فعلينا جميعًا أن نقوم بشكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة وأن نشكره في السراء والضراء. ولنعلم أن من نعمة الله علينا أن نشكره:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طابت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منة ... تفيق بها الأوهام والبر والبحر

فاللهم إنا نحمدك ونشكرك ونثني عليك الخير كله. ونشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك. نرجوا رحمتك ونخشى عذابك.

❊❊❊

(١) سورة المؤمنون: آية ٥-٧.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا بني بعد، أما بعد:

وللشكر فوائد منها:

١- أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- اعتراف بالمنعم والنعمة.

٣- سبب لحفظ النعم.

٤- كثرة النعم لابد لها من الشكر.

٥- يكسب رضا الرب ومحبته.

٦-فيه دليل على سمو النفس ووفور العقل.

وغيرها من الفوائد.

❊❊❊

التفاؤل في الشدائد (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فهي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ١٣١﴾[1] وفيها المخرج من الشدائد ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[2].

وفي زمن الشدائد والمحن يصاب بعض الناس باليأس والقنوط وحين تتولى ضربات الأعداء على المسلمين وتكثر الخطوب المفزعة يصاب البعض بالإحباط واليأس ولله في خلقه شؤون، والأيام يداولها بين الناس وكما يبتلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالسراء فإنهم يبتليهم كذلك بالضراء ليستخرج عبوديتهم في الحالتين ويعلم وهو العليم الخبير كيف يشكرون وكيف يصبرون والمتأمل في واقع المسلمين يرى ضعفاً وفرقة وذلة ومسكنة وفتناً ومصائب يتلو بعضها بعضاً،

(١) سورة النساء: آية ١٣١.
(٢) سورة الطلاق: آية ٢.

وكما تجرع المسلمون كؤوس بلية انبعث لهم أخرى وهكذا هذا فضلاً عن غزو الأفكار وحرب القيم عبر الفضائيات والإنترنت.

وهذه المؤثرات كلها وما يضاف إليها من محن وانحراف عن صراط الله المستقيم بين المسلمين أنفسهم وشيوع النفاق وكثرة المنافقين وما يتبع ذلك من محاولات للفساد والإفساد كلها تشكل ضغطاً على النفوس وتضييق لها الصدور وربما سببت اليأس والقنوط. وفي ظل هذه الظروف الصعبة ترد أسئلة كثيرة يحتاج الناس إلى إجابة لها؟.

ولعلي أجلي البعض منها فحديثي عن التفاؤل وليس التشاؤم في مثل هذه الأحوال وقبل ذلك أتحدث عن مظاهر الإحباط عند البعض فمن ذلك ضعف في السلوكيات وتراجع في القيم وربما وصل الأمر إلى الاهتزاز في القناعات والمسَّلمات ومن ذلك الانهزامية والشعور بالنقص وكذلك الإحباط والقعود عن العمل الثمر والضعف في الدعوة إلى الله تعالى والشعور الخاطئ بأن منافذ أغلقت وفرص الدعوة قد حجمت وهذا إنما هو تثبيط من الشيطان وأعوانه.

أما رسول الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمرسلون من قبله عليهم جميعاً أفضل صلاة وأزكى تسليم وأتباعهم عليهم رضوان الله أجمعين ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1] بل كان الفال شعارهم والوعد بنصر الله حديثهم وينظرون بنور الله إلى نصره في الأيام المستقبلة.

وتأمل أي وضع كان يعيش بنو إسرائيل في زمن فرعون ومع ذلك قال لهم

(١) سورة آل عمران: آية ١٤٦.

موسى واعداً ومبشراً ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] وتحقق وعد الله تعالى وانتصر المستضعفون وأهلك الله الظالمين.

وتأمل حيث بعث المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشرق نور الإسلام في مكة لم يكن طريقاً محفوفاً بالورود والرياحين ولم تُسلِم العرب بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أقرب الناس إليه بل آذوه واتهموه وأخرجوه وحاربوه وواجه المسلمون صنوف الأذى والعذاب ومع ذلك كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واثقاً بنصر ربه متفائلاً بنصرة دينه حتى مع هذه الشدائد.

ففي الحديث عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا له: ألَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، ألَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قالَ: كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[2].

وحين نستقرئ نصوص السيرة النبوية نجد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متفائلاً بكل حال واعداً أصحابه بالنصر والغلبة على الأعداء وأولئك ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3].

(١) سورة الأعراف: آية ١٢٨.
(٢) صحيح البخاري (٣٦١٢).
(٣) سورة التوبة: آية ٣٢.

وإن كان ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنحن قد أمرنا الله تعالى بالاقتداء به في كل حال، وحفظ الله ومعيته والثقة بنصره وتمام التوكل عليه ليست خاصة بالمرسلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحون، اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز المسلمين في كل مكان يا رب العالمين.

❊❊❊

(١) سورة النحل: آية ١٢٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فهذه بعض الأخطاء التي تحصل منا في زمن الشدائد فمن تلك اهتزاز القناعات وإساءة الظنون بالله تعالى، ومن الأخطاء أننا ربما أحسنا الظن بأنفسنا أكثر مما ينبغي ولربما أسأنا الأدب مع الله ولن يتم لنا النصر والتمكين إلا بتغيير ما بأنفسنا ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾[1].

وقد أحسن القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنبٍ ... ولو نطق الزمان لنا هجانا

فدنيانا التصنع والتأني ... ونحن به نخادع من يرانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

ومن الأخطاء أننا تأسرنا اللحظة الحاضرة دون أن نتطلع إلى مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين ولا يقودنا ذلك إلى القعود والكسل والهزيمة والاستسلام للواقع بل لابد من العمل ومن نصرة الإسلام بأي شيء فكل واحد منا مطالب بعمل كل بحسب طاقته ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ

(١) سورة الرعد: آية ١١.

ٱلْهُدَىٰ ۖ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[1] وقال تعالى ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقال من هو خير منا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[3].

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا ونساءنا بسوء اللهم فاشغله بنفسه ورد كيده في نحره.

❊❊❊

(١) سورة البقرة: آية ١٢٠.

(٢) سورة العنكبوت: آية ١٨.

(٣) سورة هود: آية ٨.

التفاؤل في زمن الشدائد (٢)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الصادقين.

وإن من العيوب والأخطاء أن يخطئ المرء ولا يدرك خطأه بل يظل يزكي نفسه يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: إن العبد كثيراً ما يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها فيكون مقصراً بالعلم وكثيراً ما يتركها بعد العلم بوجوبها إما كسلاً أو تهاوناً وإما لفرع تأويل باطل أو لظنه أنه مشتغل بما هو أوجبه منها أو بغير ذلك فواجبات القلوب أشد وجوباً من واجبات الأبدان وآكد منها، وكأنها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس.

والمطلوب منا في كل حال ولا سيما في زمن الشدائد أن نفتش عن عيوبنا ونعالج أخطاءنا ونصدق الله في التماس أسباب النصر وأن غلاء قلوبنا من الثقة بنصره وعلو دينه وأن نخلص في ولائنا لله ونجرد الاستعانة بالله وحده لا شريك له تحقيقا لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[2] وكيف نطلب النصر من

(١) سورة التوبة: آية ١١٩

(٢) سورة الفاتحة: آية ٥.

غير الله والله يقول ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1] وكيف نزكي أنفسنا والله يقول ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

وقبل أن ننتصر على الأعداء لا بد أن ننتصر على أنفسنا والانتصار على النفس بحملها على طاعة الله والبعد بها عما حرم الله وهذه مرتبة من مراتب الجهاد تبتلى بها النفوس وتمتحن بها الهمم والذنوب والمعاصي لها اثر عظيم في الانهزام والضعف أمام الأعداء.

وكم نحتاج إلى التذكير بذلك في كل حين ولا سيما في وقت الشدائد من الإيمان واليقين والتسليم وصدق الولاء والصبر والتضرع لله والاستعانة بالله والنظر في الأخطار وإصلاح العيوب والعمل بكل جدية فيما يصلح أحوال المسلمين حتى يأتي نصر الله أو نهلك في سبيله، وهكذا كان الأوائل وكم تركوا لنا نماذج تسلي النفوس وتقوي الهمم وتشحذ العزائم، وإليكم نموذجاً وقع لخير القرون عندما زلزل المؤمنون في غزوة الأحزاب زلزالاً شديداً وبلغت القلوب الحناجر وزاغت الأبصار كما قال العزيز الجبار ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[3] وكيف لا يقع ذلك والمدينة لأول مرة في تاريخ الإسلام يطوقها ما يقرب من عشرة آلاف رجل من قريش وأحلافها واليهود ينقضون عهدهم في المدينة، والمنافقون من داخل الصف يرجفون بالمسلمين ويظنون بالله الظنونا.

(١) سورة الأنفال: آية ١٠.
(٢) سورة النجم: آية ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب: آية ١٠-١١.

ومثال آخر:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بنُ النَّضْرِ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أَصْنَعُ، فَلَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وأَبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فَقالَ: يا سَعْدُ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ ورَبِّ النَّضْرِ إنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِن دُونِ أُحُدٍ، قالَ سَعْدٌ: فَما اسْتَطَعْتُ يا رَسولَ اللَّهِ ما صَنَعَ، قالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا به بضْعًا وثَمَانِينَ ضَرْبَةً بالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ ووَجَدْنَاهُ قدْ قُتِلَ وقدْ مَثَّلَ به المُشْرِكُونَ، فَما عَرَفَهُ أَحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ ببَنَانِهِ قالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أنَّ هذه الآيَةَ نَزَلَتْ فيه وفي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] إلى آخِرِ الآيَةِ وقالَ إنَّ أُخْتَهُ وهي تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فأمَرَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقِصَاصِ، فَقالَ أَنَسٌ: يا رَسولَ اللَّهِ والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَرَضُوا بالأَرْشِ، وتَرَكُوا القِصَاصَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ مَن لو أَقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[2].

وفي ظل ظروف المحن والشدائد يظهر دور العلماء وتحتاج الأمة إلى أصوات الصادقين المثبتين لقلوب الناس والواعدين بنصر الله تعالى ولقد مرت الأمة الإسلامية بعواصف الردة فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لها، وطوفان المحنة فكان ابن حنبل جبلها، ثم طارت الأمة في تيارات المذهبية والنحل الفاسدة فتصدى لها العلماء وكشفوا عن زيفها وفسادها ثم جاء الصليبيون إلى بلاد المسلمين

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٣).

واستولوا على مقدساتهم وقيض الله لهم صلاح الدين الأيوبي ومن قبله من القادة المصلحين والدعاة المخلصين ما شجع القادة على دحر الصليبين ثم كان غزو التتار لبلاد الإسلام وقد وصفه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: استطار في جميع ديار المسلمين شررها وأصلح فيها النفاق من ناحية رأسه وكشر فيها الكفر عن أنيابه وكاد فيها عمود الكتاب أن يحترم وجبل الإيمان أن ينقطع وفيها فر الرجل من أخيه وأمه وأبيه إذ كان لكل أمريء منهم شأن يغنيه لى ما جاء في وصف أحول المسلمين في تلك الفترة العصيبة.

ومع ذلك برز الدعاة يهدئون الناس ويسكنونهم ويثبتونهم ويعدونهم ويبشرونهم بالنصر والتمكين على الأعداء.

ولم تكن فتنة التتر آخر البلايا والمحن والرزايا على المسلمين بل وافتهم بعدها محن وخطوب واستعمار ولا تزال المؤامرات وأساليب الغزو ما فيه وحرب الإبادة للمسلمين اليوم في فلسطين وغيرها استمرار لحروبهم بالأمس وعلى مسلمي اليوم أن يقرؤوا تاريخ أسلافهم ويستفيدوا من تجاربهم ويتعرفوا على أعدائهم ويتدبروا قوله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[1] فإلى الله المشتكى.

من المسئول عن شعب يعاني ... عذاب الهون في هذا الزمان
تشرد في القفار وفي الفيافي ... وذاق من الأسى ومن الهوان
كثيراً واستبد به طغاة ... أباحوا سلبه كل المعاني

(١) سورة البقرة: آية ١٢٠.

من المسئول عن آلام شعب ... يعيش مع اليهود بلا أمان
يعذب كل يوم ألف ألفٍ ... من المرات تغتال الأماني
من المسئول عن تقتيل شعب ... بلا ذنب وتهديم المباني
فتسرق أرضه ويذاق ويلاً ... ويمنع أن يعبر باللسان
من المسئول عن شعب جريح ... يصيح بقومه هبوا كفاني
ضياعًا غير أن القوم سكرى ... سكارى دون كأس أو دنان
ولكن بالمباهج والملاهي ... وأنواع المآدب والأغاني

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحون، اللهم أقر أعيننا بنصر الإسلام وعز المسلمين في كل مكان يا رب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله القوي العزيز ذي القوة المكين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

وإذا كان أثر العلماء الربانيين ظاهراً في تسكين الناس وتثبيتهم على الحق فثمة مرجفون يشككون الناس في عقائدهم ويروجون للباطل بأقوالهم وكتاباتهم وأعمالهم يساهمون في هدم القيم ويشاركون في إشاعة الفاحشة وهؤلاء المرجفون المفسدون يجدون الفرصة في ضعف الأمة وتكالب الأعداء عليها لنفث سمومهم وترويج باطلهم وبقي لنا أن نعرف الدروس ونأخذ العبر مما ذكرت فمن ذلك أن فترات الضعف والكروب يتميز فيها الصادقون من الكاذبين ويتميز الخبث من الطيب ومن الدروس استخراج عبودية الفرار والتضرع لله ومن الدروس أنها كاشفات لأصحاب النفوس الكبيرة التي لا تزيدهم الشدائد إلا صبراً ويقيناً، ومن الدروس أيضاً استخراج ما في النفوس من أشر وبطر وكبرياء وغطرسة لو استمر لها النصر لعاشت دائماً في السراء.

وختاما:

يا من أفاء الله عليهم بنعمة الأمن والأمان في هذه البلاد المباركة ارعوا ما أنتم فيه من نعمة وقيدوها بالشكر وخذوا على أيدي السفهاء وأطروهم على الحق أطراً ولا ينسيكم ما أنتم فيه من نعمة ما يعيشه بعض إخوانكم المسلمين من بلاء ومحنة «فالمؤمنون إخوة والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضهم بعضاً»

ومـا يصيبهم حقيقـة إنما هو على المسـلمين أجمع وأولئك الكفـرة الفجرة إنما يحاربونهم لأنهم من المسـلمين وأنتم مثلهم وإنه مـن المذلة والهوان أن نتخلف عـن نصرة إخواننا في حيـن أن الكفار يتنـادون جميعـاً لنصرة أبنـاء ملتهم وعلينا بالدعاء لإخواننا بالنصر والتمكين على الأعداء.

اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك وهيئ لأمة الإسلام أمراً رشداً يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية يا سميع الدعاء.

❊❊❊

محاسبة النفس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

أيام قليلة ونودع هذا العام بلياليه وأيامه التي هي مراحل نقطعها إلى الدار الآخرة فكل يوم يمر بنا إنما يبعد الإنسان من الدنيا ويقر به من الآخرة.

لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوبٌ على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب
إذا ما مضى القرنُ الذي أنت فيهم ... وخلّفت في قرن فأنت فيهم غريب

فالله أكبر ما أعظمها من حكمة ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[2] فما أسرع الأيام والشهور والسنون فالشهر ترى الهلال فيه صغيراً يولد كما يولد الأطفال ثم تنمو كما تنمو الأجسام حتى إذا تكامل نموها أخذت بالنقص والاضمحلال وهكذا عمر الإنسان وهذه الأعوام تتجدد عاماً بعد عام فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظر البعيد ثم تمر الأيام سراعاً فينصرم العام كلمح البصر فإذا هو في آخر العام وها نحن نعيش ذلك الآن.

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.
(٢) سورة النور: آية ٤٤.

ومما يحسن أن اذكر به نفسي وإخواني في هذه الأيام محاسبة النفس فمحاسبة النفس طريقة المؤمنين وسمة الموحدين وعنوان الخاشعين فالمؤمن متقٍ لربه محاسبٌ لنفسه مستغفرٌ لذنبه.

يقول رب العالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1] فيجب أن يكون المؤمن محاسبًا لنفسه متهما لها لائما على تقصيرها.

يقول العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية.

قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: محاسبة النفس أن يتصفح الإنسان في ليله ما هدر من أفعال نهاره فإن كان محمودا أمضاه وإن كان مذموماً استدركه.

ها هي هذه السنة ستخلع ثيابها معلنة لنا بكل صراحة أننا كنا بكثرة الأيام عند بدايتها مغترين وبحبال التسويف في أولها متعلقين فكم من شخص أمل أملاً في آخر السنة فمضى وتركه وكم من عاجز ألهته الأماني حتى أوقعه الشيطان في حبائله فسوف قال: إذا جاء رمضان حافظت على الصلاة وعاجز وعد نفسه أن يرجع بعد الحج إلى الله وثالث قال إذا حل الشتاء طال ليله فقمته وقصر نهاره فصمته ومضى رمضان وانقضى. وبدأ موسم الحج وانتهى بل انتهت السنة بأكملها وما فيها من مواسم فاضلة وما زال العاجز عاجزاً وظل المسوف مسوفاً

(١) سورة الحشر: آية ١٨.

كلما انتهت سنة ومضت تمنى المبطلون على الله الأماني في السنة التي تليها وما علم هؤلاء المساكين أن الزمن إذا مضى لا يعود.

لنقف وقفة محاسبة مع أنفسنا كما وقف السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذا هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ياليتني كنت شجرة تعضد».

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يخشى على نفسه أن يكون من المنافقين وكان يقول «والله لوددت أن أنجو يوم القيامة كفافاً لا لي ولا علي»، وكتب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أحد عماله أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة.

ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته.

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم زمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فكان لها قائداً.

وقال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها ثم قلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين؟ قالت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً قال: فأنت في الأمنية فاعملي بها لقد وصل الحال ببعضهم إلى أن اتخذ في داره قبراً ينزل فيه ويغلق على نفسه ثم ينادي ويبكي ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾[1] ثم يخرج من القبر ويقول

(١) سورة المؤمنون: آية ٩٩-١٠٠.

لنفسه قد أعطيت رغبتك فاعملي.

وقال بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي كان آية في التقوى والصلاح: لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد عفر لهم لولا أني كنت فيهم.

وهكذا كانوا يلومون أنفسهم ويبكون تقصيرهم ومن لم يتم نفسه على دوام الأوقات كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان فقد أهلكها فالنعمة العظمى هي الخروج وحظوظها العاجلة والتخلص من رقها وأعرف الناس بأنفسهم أشد الناس محاسبة لها ورقابة عليها لأن من فوائد المحاسبة تحقيق السعادة في الدارين وتثمر محبة الله ورضوانه وهي دليل على صلاح الإنسان وبعده عن مزالق الإنسان.

اللهم اغفر لنا ما سلف وكان من الذنوب والعصيان، اللهم اغفر لنا ما كان منا في عامنا هذا واجعل عامنا الجديد عام خير وبركة وعز ونصر للإسلام والمسلمين، اللهم أعنا فيه على عمل الصالحات وجنبنا الموبقات يا رب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فمحاسبة النفس طريق للنجاح وسبب للفلاح وأمارة سعادة ودليل رشاد وهنالك أمور كثيرة تعين على محاسبة النفس وتقوي بواعث الخير فيها ومن ذلك:

١- استشعار رقابة الله على العبد واطلاعه على خفاياه وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافيه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[1].

٢- أن يعلم العبد أنه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[2].

٣- أن يتذكر الإنسان الحساب الأكبر يوم القيامة يقول تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

ولنعلم جميعاً أن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

❋❋❋

(١) سورة البقرة: آية ٢٣٥.
(٢) سورة الحجر: آية ٩٢-٩٣.
(٣) سورة الأنبياء: آية ٤٧.

العدل

الحمد لله رب العالمين أمر بالعدل والإحسان ونهى عن الظلم والبغي والعدوان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حكمٌ عدلٌ ولا يظلم ربك أحدا. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله جاءه الوحي من ربه بالعدل اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وأرض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

وكلنا يحب العدل ويرغب أن يعامل به ولكننا نخطئ أحياناً في التعامل مع غيرنا بالعدل فنظلم ونعتدي ونبخس الناس أشياءهم بل قد نظلم أنفسنا أحياناً كثيرة.

بالعدل قامت السموات والأرض وبالعدل أمر الله كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[2] وأوصانا بقوله ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾[3] وبالعدل ألزم ربُنا في التحاكم والحكم ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[4].

أجل إن العدل سمة بارزة لشريعتنا عاش في كنفها البر والفاجر والمسلم والكافر كل هؤلاء يُحكمون ولا يظلمون ذلك توحيد ربنا حتى مع الكافر حيث قال سبحانه ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٢) سورة النحل: آية ٩٠.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٥٢.

(٤) سورة النساء: آية ٥٨.

(٥) سورة المائدة: آية ٨.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أن يظلم من أبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس فهو أحق أن لا يظلم بها يعدل عليه.

ونحن مأمورون بالعدل مع ربنا ومع أنفسنا ومع الناس من حولنا فكيف نحقق هذه المقامات الثلاث من العدل؟

قال العلماء أما العدل بين العبد وربه فبامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبين العبد ونفسه فبمزيد الطاعات وتوقي الشبهات والشهوات وبن العبد وغيره بالإنصاف والعدل.

ألست تحب من الآخرين أن ينصفوك فعلام تظلم ولا تعدل معهم أولست تشيد بالعدل وتمدح المنصفين كيف تظلم وتتجاوز وتبخس؟.

وإن العدل مؤشر على سمو النفس ومعالي الأخلاق، ولقد فاق المسلمون في تاريخهم المجيد غيرهم في العدل وتجاوزا بعدلهم أهل الملة من المسلمين إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى.

وإن في حياتنا ممارسات خاطئة لا تستقيم مع العدل ولا تسير مع الإنصاف ففي الخصومات يظلم بعضنا خصمه ولربما أخذ حقاً ليس له ولكن بقوته وكذبه أو بشراء ذمم وشهداء زور وفي تقويمنا للرجال المخالفين لنا في الرأي يقع ظلمّ ونفقد العدل والإنصاف والويل لمن اتهم رجلاً بما ليس فيه أو لبسه لبوساً لم يلبسه وإذا كانت أموال إخواننا حرام علينا فكذلك أعراضهم حرام علينا هتكها بغير حق قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ،

ومالُهُ، وعِرْضُهُ»[1].

ونحن مأمورون بالعدل مع أولادنا وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بيْنَ أوْلَادِكُمْ»[2] فهل نعدل بينهم في المنح والأعطيات وأساليب التعامل في الحياة أم يوجد فينا من يغدق على بعض ألأولاد ويحرم إخوانا لهم آخرين وكأنهم ليسوا من بنيه أفلا يتق الله أولئك الآباء الجائرون.

وكذلك نحن مأمورون بالعدل مع أهلنا وأزواجنا فكم يقع على النساء من ظلم بعض الرجال وقد يصل الحال إلى أن تكون المرأة كالمعلقة فلا هي مطلقة بإحسان ولا هي ممسكة بمعروف وويل للرجل الذي يستغل قوته وقدرته فيظلم المرأة ويبخسها حقوقها وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ، فإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عليهنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فإنْ فَعَلْنَ ذلكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عليْكُم رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمَعروفِ»[3].

وظلم أخر مع زملائنا في العمل بتفضيل بعضهم على بعض في الاعطيات والانتدابات والترقيات وحرمان الآخرين وكذلك الظلم مع إخواننا العمال الوافدين بتحميلهم في العمل ما لا يطيقون أو ببخس حقوقهم حين يعملون.

بل ومن كمال شريعتنا وديننا أنه أمر بالعدل والإحسان إلى البهائم فلا تحمل ما لا تطيق ولا تضرب فتؤذى بلا حاجة وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقوا اللهَ فى هذهِ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤) مختصراً، ومسلم (٢٥٦٤) واللفظ له

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٢٣) باختلاف يسير.

(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

البَهائمِ المُعجَمةِ ، فاركَبوها صالِحةً ، وكُلُوها صالِحةً»[1].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أَطْعَمَتْها ولا سَقَتْها، إذْ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ»[2].

والعدل وصية الله لنا جميعاً حيث قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[3].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية. فهل نأتمر بهذه الآية العظيمة فنقيم حياتنا على العدل ننهي أنفسنا من الفحشاء والمنكر والبغي.

ألا فلنتق الله ولنعدل مع أنفسنا ومع ربنا ومع الناس جميعاً ولنتذكر قوله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾[4].

فلنروض أنفسنا على العدل ونرجوا ثواب الله تعالى ونخش عقابه فما استعد من يسعون في ملء الأرض عدلا وما أنكد حياة من يسعون لملئها جوراً وظلماً.

اللهم ارزقنا العدل في أقوالنا وأفعالنا مع أنفسنا ومع الناس جميعا مع من أحببنا ومع من لم نحب يا رب العالمين.

❊❊❊

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨) واللفظ له، وأحمد (١٧٦٦٢) باختلاف يسير.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٢).
(٣) سورة النحل: آية ٩٠.
(٤) سورة الشورى: آية ١٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فإن من مظاهر العدل قبول الحق ممن جاء به فالعبرة بالقول لا بالقائل وأعظم مثال ما رواه البخاري في صحيحه من قصة الشيطان مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك «**أما إنَّه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شيطَانٌ**»(١).

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل أراد منه وصية قال له «ومن أتاك بحق فاقبل منه وأن كان بعيدا بغيضاً ومن أتاك بالباطل فارددده وإن كان قريبا حبيبا».

وللعدل آثاراً ايجابية على الفرد والمجتمع والأمة وفي الدنيا والآخرة يشهدها القائمون بالعدل وتنبني عليها تجارب الأفراد والأمم وقد قال أهل العلم إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة.

والسبيل إلى العدل بأخذ التوجيهات الربانية والأحاديث النبوية التي تدلنا على العدل وتأمرنا به ولا يعيب الإنسان أن يتدرب على العدل ويمارسه وان يروض نفسه على معالي الأمور وقد قال سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾(٢) وكلنا يعلم أن أحد السبعة الذين يظلهم الله في

(١) صحيح البخاري (٢٣١١).
(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ويدخل فيه الإمام الأكبر للمسلمين وغيره من ولي إمامة كبيرة أو صغيرة.

وفقنا الله وإياكم للعدل والإنصاف وجنبنا وإياكم أسباب الفرقة والخلاف.

❊❊❊

الصدق وآثاره

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المؤمنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الصادقين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

بالصدق ينجو الفتى من كل معضلة والكذب يزري بأقوام وإن سادوا

فما أحرى بالعاقل اللبيب أن يحذر الكذب وأن يلزم الصدق فالصدق منجاة والكذب مهواة. والله سبحانه أمر بالصدق وأثنى على الصادقين قال جَلَّ وَعَلَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكونَ صِدِّيقًا. وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[2].

والصدق هو أن يخبر الإنسان عما يعتقد أنه الحق وأنه مطابق للواقع بلا زيادة ولا نقصان ولا ريب أن الصدق خصلة محمودة وسجية مرغوبة تألفها الفطرة السوية وتدعو إليها الشرائع السماوية.

قال العلامة ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصدق يرفع المرء في الدارين كما أن الكذب

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٢) صحيح البخاري (٦٠٩٤).

يهوي به في الحالين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه وصار صدقاً عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب. أهـ

وقال بعض الحكماء عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعزَ من الصدق والصدق عز وإن كان فيه ما تكره والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب إتْهُمَ في الصدق.

وقال بعضهم: الصادق مصان جليل والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء لا سيف كالحق ولا عون كالصدق.

وإذا الأمور تزاوجت فالصدق أكرمها نتاجا
والصدق يعقد فوق رأس حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدح زنده في كل ناحية سراجا

وقال الإمام الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وإذا كان الصدق بهذه المثابة فالواجب علينا جميعاً أن نلزم الصدق ونتحراه وأن نوطن أنفسنا على الأخذ به وأن يكون هيئة راسخة يعتمده الواحد منا في جميع أحواله لا أن يكون موسمياً أو مرتبطاً بحالة معينه.

ولا شك أن التزام الإنسان بالصدق في كل ما يقول ويفعل يستلزم مشقة كبيرة ويحتاج إلى جهد وعنا وصبراً وشجاعة ومهما يك من شيء فهناك أمور تعين على ذلك منها:

١- الاستعانة بالله تعالى وذلك بسؤاله الإعانة والتسديد والتوفيق ..

إذا صح عون الخالق المرء لم يجد عسيراً من الآمال إلا ميسراً

٢- مراقبة الله واستشعار رؤيته سبحانه، فإذا راقب العبد ربه واستحضر أنه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1] انبعث إلى التزام الصدق وتجنب الكذب.

٣- تعويد النفس على الصدق وتوطينها عليه وذلك بأن يتكلف الإنسان الصدق مرة بعد مرة حتى يصبح سجية له وطبعًا.

٤- النظر في العواقب التي يتركها الكذب فيلتزم الإنسان الصدق.

٥- تنشئة الصغار على الصدق وذلك بتحبيب الصدق لهم وتشجيعهم عليه وتقبيح الكذب لهم ومعاقبتهم عليه.

٦- معاشرة الصادقين ومجانبة الكاذبين وذلك أن المعاشرة والمخالطة تقتضي الموافقة على طبائع الإنسان والتأثر بالصاحب.

٧- الإكثار من قراءة القرآن بالتدبر والتعقل فإنه إذا تدبر الإنسان القرآن وتفهم معانيه فإنه سينبعث للصدق وترك الكذب ذلك أن القرآن يهدي للتي هو أقوم.

إلى غير ذلك من الأمور المعينة على الصدق، جعلنا الله وإياكم من الصادقين.

❋❋❋

(١) سورة ق: آية ١٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فـإن للصدق في الكلام آثـار حميدة وعوائد عديدة على الفرد وعلى الجماعة ومن آثار الصدق في سعادة الفرد ما يلي:

١- شرف القدر وعلو المنزلة فالإنسان الذي يتحلى بالصدق يشرف قدره وتعلو منزلته ذلك أن الصدق يدل على حسن السيرة ونقاء السريرة.

٢- طيب العيش ذلك أن الناس لا يطمئنون إلا إلى معاملة الصادق الأمين وشأنهم الانصراف عمن ألفوه يضع الكلمة في غير موقعها.

٣- صفاء البال فصادق اللهجة يصفو باله ويعينه صدقه على التخلص من المكدرات والمنغصات التي تنتج عن الكذب.

٤- عزة النفس فالصادق تأبى نفسه الكريمة ودينه القويم أن يكذب وأن يقول الكذب.

٥- الشجاعة والثقة بالنفس فالصدق يكسب الفرد شجاعة وثقة في نفسه لأن الكاذب دائمًا على وجل بخلاف الصادق.

وغير ذلك من الآثار كثير ..

اللهم ارزقنا علمًا نافعًا وعملاً صالحًا ولسانًا صادقًا وقلبًا ذاكراً.

❋❋❋

الفهرس

- مقدمة ٣
- مكارم الأخلاق ٦
- الإصلاح بين الناس ١٣
- الإيثار ٢٠
- المزاح ٢٧
- الحلم والأناة ٣٣
- الحياء وآثاره ٣٩
- عبودية السراء (الشكر) ٤٥
- التثبت في الأخبار ٥١
- الجود في الإسلام ٥٧
- عبادة الشكر بعد نزول المطر ٦٣
- التفاؤل في الشدائد (١) ٦٨
- التفاؤل في زمن الشدائد (٢) ٧٤
- محاسبة النفس ٨١
- العدل ٨٦
- الصدق وآثاره ٩٢

❊❊❊